

www.liilas.com



APPROVED

شهادة وتكفل
 الأمانة العربية الحديثة
 لتوزيع الكتب
 11570000 - 0111 44 4444
 على الإنترنت

بقلم: ه. ب. لافكرافت
 ترجمة وإعداد:
 د. أحمد خالد توفيق

خلف جدار النوم



خلف جدار النوم

لسوف نعيش ساعات مفزعة مع (لاكرافت) أعظم كتاب
الرعب في القرن العشرين .. سوف نعرف سبب خوفنا من
الهواء البارد ورائحة النشادر .. سوف نرى الشجرة
العملاقة التي تنمو من ذلك القبر الغريب .. سوف نتحدث
همساً عن الذي لا اسم له خوفاً من أن نسمعنا .. سنناقش
الحالة المرضية الغريبة لـ (تشارلز دكستر وارد) .. سنرى
تلك الصورة المفزعة في كتاب قديم بكوخ مهجور .. لسوف
نعيش أسوأ كوابيسنا التي لم نعتقد أن نقابلها إلا ... خلف
جدار النوم ...

37

المؤلف

من جديد تعاود الحديث
عن (هـ . ب . لافكرافت) !
أعتقد أن ما ذكرناه في الكتيب
السابق كان وافيًا إلى حد ما ،
لهذا نعيد نشره هنا من
جديد ، فقط لمن لم يقرأوا
الكتيب السابق ..



(هـ . ب . لافكرافت) مدرسة متفردة من مدارس
أدب الرعب ثقيل الوطاء ، وهي مدرسة قد لانجد لها
شبهها إلا عند أمريكي آخر هو (إدجار آلان بو) .
كلا الأدبيين ينتمى أساسًا إلى مدرسة كبرى من
مدارس الأدب الرومانسي ؛ هي الرعب القوطي ..
أي الرعب الشبيه بعوالم الكوابيس بالضبط .. رعب
الغموض ، والقلاع المظلمة ، والبروق والرعود ،
والشورر المستطيرة ، والنفوس المعقدة المجنونة ..

ومن أبناء هذه المدرسة (ماري شيللي) و (ماتيورين) و (برام ستوكر) و (م. لويس) و (آن رادكليف) .
 لكن (لافكرافت) استطاع أن يضيف على الرعب شاعرية أدبية معقدة ، مع خلفية من الهواجس النفسية المظلمة ذات مذاق خاص ، حيث الخطر ينبع من الداخل كما ينبع من الخارج . وصارت له مفردات عالمه الخاصة التي يعرفها قراؤه كأسمائهم مثل : (نكرومونيكون) - (كتولو) - (أرخام) - (أزوث) - (العزيف Azif) - إلخ ، والملاحظ أنه يشير إليها في أكثر من قصة حتى إن كثيرين صاروا يعتقدون أنها حقيقة .. وفي بعض خطباته الخاصة يصف لصديق الطريقة المثلى لنطق لفظ Citulu التي حير نطقها للكثيرين ، فيقول : إن عليك أن تنطقها من حلقك مع تثبيت طرف اللسان على سقف الفم ، والنجاح لتخرج الكلمة كأنها (كت - هلو - لهو) !!
 لأن لسان البشر القاصر لا يستطيع نطق الاسم بالشكل الصحيح ! بل ما زال كثيرون يبحثون عن النسخة الأصلية من كتاب (نكرومونيكون) السحري ، الذي كتبه شاعر يمتنى اسمه (عبد الله الحظرد) ، حسب زعم (لافكرافت) ..

ولد (هوارد قبليب لافكرافت) في أغسطس عام 1890 في (بروفيننس) بـ (رود آيلاند) ، وتربى مع أمه وجده بعد وفاة أبيه الغامضة (ظل سنتين يقال له إن أباه ماتم الآن) ، وكان مولعاً بالقراءة وبصفة خاصة (ألف ليلة وليلة) التي قرأها وعمره خمسة أعوام ، ولسوف يدرك دارسو أدبه يوماً ما أن (ألف ليلة) قد تركت بصمة لا تمحى في كتابات الرجل . وفي هذه الفترة أطلق على نفسه اسم (عبد الله الحظرد) ، وهو نفس الاسم الذي كتب به روايته الرهيبة (نكرومونيكون) كما قلنا . وفي العام التالي اكتشف الأساطير الإغريقية وقرأ الإلياذة والأوديسا .. ولعب جده دوراً مهماً في جعله يحب الحكايات الرعب القوطية .

كان قليل الانتظام في المدرسة ، بلا أصدقاء تقريباً . لكنه كان يدرس في مدرسته الخاصة الأخرى بقراءات لا تنتهي . وفي سن المراهقة أصدر بنفسه مجلة دورية عن علم الفلك ، وراسل إحدى الصحف المحلية . ثم توفي جده وعانت أمه الكثير من المشاكل المادية ، مما اضطرهما إلى ترك البيت

الجميل الذي تربى فيه الأديب ، وأصابه انهيار عصبي
حرمه من دخول الجامعة ، وقد ظلت هذه النقطة
تعذبه طيلة حياته .

فيما بعد التحق برابطة الأديباء الهواة المتحددين
عام 1914 ، وترقى إلى أن صار رئيس الرابطة ،
وكانت هذه أهم خطوة في حياته ؛ لأنه لم يكن وثاقاً
قط مما إذا كان يملك حاسة الأديب أو يفتقر إليها ،
وكتب أولى قصصه الخيالية المرعبة (الوحش في
الكهف) - نشرناها فيما سبق - و (الخيميائي)
ولاقى نجاحاً أفتعه بأن يكرس قلمه لهذا النوع من
الأدب .. ومع الأدب كتب الكثير جداً من الشعر ،
مثله مثل (آلان بو) مواطنه الأشهر .

وفي الوقت ذاته كان يرأس عدداً هائلاً من
الأصدقاء والمعارف ، حتى صار بالفعل من أهم من
كتبوا أدب الرسائل في هذا القرن . وفي العام 1921
قابل (سارة) .. المرأة التي ستكون زوجته ، وهي
مهاجرة سوفيتية تكبره في العمر بسبعة أعوام .
وتزوجا في العام التالي وعاش معها في شقتها في
(بروكلين) . وكتب (لافكرافت) أسوأ كوابيسه

القصصية مثل : (الرعب في ردهوك) و (هو)
مثنياً بجو (نيويورك) الكئيب الذي لم يحبه قط .
وفي عام 1929 تم الطلاق ، وعاد هو إلى (بروكفيلدس)
التي أحبها بعمق . كانت هذه آخر وأهم عشرة
أعوام من عمره ، وفيها سافر كثيراً جداً وكتب أهم
رواياته (نداء كتولو) و (في جبال الجنون) و (ظل
الزمن) . كما كان يقرأ كثيراً جداً وفي كل موضوع
من الفلك إلى التاريخ إلى النحت إلى السياسة .

ومع العام 1932 صارت قصصه أكثر تعقيداً
ومسوبة ، وصار يجد عسراً في بيعها ، لذا راح
بأسب عبثه كمصحح لقصص الأندماج الرخيصة .
وفي العام 1937 اكتشف الأطباء أنه مصاب بحالة
متقدمة من سرطان الأمعاء ، وسرعان ما توفي في
العام نفسه .

كان (لافكرافت) يتنبأ بنسيان أعماله بعد موته ،
لأنه لم ينشر قط كتاباً بالمعنى الصحيح .. وربما
تعتبر رواية (ظل فوق إينز ماوث - 1936) هي
العمل الوحيد له الذي نشر في كتاب .. وفيما عدا
ذلك كانت أعماله العديدة مبعثرة في للمجلات والدوريات .

هواء بارد ..



وبعد وفاته تطوع تلميذاه اللذان شجعهما كثيراً
(أوجست درليث) و (دونالد وانديري) بجمع
أعماله ، وكونا دار نشر اسمها (بيت أرخام) ،
وصارت كل إبداعاته متاحة للقراء وطلاب الأدب في
كتب حسنة الطباعة والتغليف .

في هذا الكتيب والكتيب السابق له ، نقرأ بعض
القصص القصيرة أو الروايات القصيرة لهذا العظيم ،
وقد حاولت تخفيف بعض الفقرات ، لكنني لا أنصح
صغار السن بتأنيق قراءة هذين الكتيبين ، وهذه
ليست دعاية لهما بالمناسبة ، بل هي الحقيقة !

و. أحمد خالد توفيق

هواء بارد ..

تسألني أن أفسر لماذا أخشى تيارات الهواء البارد .. ولماذا أرتجف أكثر من الآخرين حين أدلف إلى غرفة باردة ، ويبدو على الغثيان والنفور حين يزحف برد المساء في دفاء يوم خريف . يقول البعض إنني أستجيب للبرد كما يستجيب غيري لرائحة منفرة .. وإنني لآخر من ينكر هذا الانطباع .. ما سأفعله هو أن أحكى لك أشنع ظروف قابلتها ، وأترك لك أن تحكم ما إذا كان هذا يفسر حالتي بشكل ما ..

من الخطأ أن نحسب الرعب مرتبطاً دائماً بالظلام والصمت والوحدة ، فقد وجدته أنا في ضياء العصر .. في ضوء المدين .. وفي قلب نزل قديم مع رجلين شجاعين إلى جاني ..

وفي ربيع عام 1923 كنت أمارس عملاً مملأً وغير مجز ، في إحدى صحف (نيويورك) ، ولما كنت غير قادر على دفع الإيجار ، فإنتى رحمت أنتقل

من مسكن لآخر ؛ بحثاً عن غرفة تجمع بين النظافة المعقولة والأثاث المتين والسعر الرخيص . في النهاية وبعد جهد وجدت شقة في الشارع الرابع عشر ، أثار تفرزي أقل من الشقق التي رأيتها من قبل ..

كان هذا مبنى من أربعة طوابق يعود لأواخر أربعينات القرن الماضي ، وكان به من أشغال الخشب والرخام ما يوحى بنوع راق باند .. أما الغرف فكانت مكسوة بورق حائط لا يطاق ، وزخارف بالجنس ، وتفوح بها رائحة للعطن مع رائحة طهي غامضة .. لكن البياضات نظيفة والماء الساخن متوفر دائماً .. وهكذا اعتبرت هذه الغرفة هي المكان المناسب للبيات الشتوي ، إلى أن يعود المرء ليعيش من جديد ..

كانت صاحبة النزل امرأة أسبانية قدرة توشك أن تكون لها لحيّة ، واسمها (هيريرو) .. لكنها ما كانت لتضايقتي بثرائتها وأقوالها أو بصدد الضوء الكهربى في غرفتي ، وكان جيراني هادئين لا يميلون للمودة كما أشتهى بالضبط ..

أمضيت نحو ثلاثة أسابيع هناك حين حدث أول شيء غريب .. ذات ليلة في الثامنة سمعت شيئاً ينسكب على الأرض ، وشعرت أنني أشم رائحة الأمونيا النفاذة في نفس الوقت .. نظرت لأعلى فوجدت أن السقف رطب تتساقط منه قطرات .. وهكذا هرعت إلى البدروم لأخبر صاحبة المنزل ، كي تضع حداً لهذا الموضوع .. فقالت لى إن المشكلة متحل حالياً ..

وصاحت وهى تتقدمنى عبر الدرج :

- « دكتور (مونوز) ! لقد سكب كيماوياته .. إنه مريض دائماً .. مريض طيلة الوقت .. لكنه لا يطلب مساعدة أحد .. طيلة اليوم يستحم ويقوم بكل أعمال المنزل الخاصة به .. ولا يعمل طبيباً .. لا يمارس المهنة .. لا يخرج أبداً .. وابنى (إستييان) يجلب له الطعام والفضيل والدواء .. رباه ! كل النشادر التى يستعملها الرجل ليظل بارداً !! »

وتوارت صاعدة إلى الطابق الرابع ، أما أنا فعدت إلى غرفتى .. كفت الأمونيا عن التنقيط .. فتحت

النافذة بينما أسمع صوت صاحبة النزل من أعلى ، لكنى لم أسمع صوت الدكتور (مونوز) .. وإن سمعت صوت آلة ما تعمل بالجازولين .. سألت نفسى عن سر هذا الرجل ، والشذوذ الواضح فى طباعه .. هناك الكثير من الأمراض النفسية لدى رجل اتحدر به الحال فى الحياة ..

ربما لم أكن لأعرف شيئاً عن الدكتور (مونوز) ، لولا النوبة القلبية التى أصابتنى صباح يوم جلست أكتب فيه فى حجرتى .. وكان الأطباء قد أنذرونى من خطر هذه النوبات .. كنت أعرف أنه ما من وقت يضيع ، وتذكرت ما حكته لى صاحبة الدار ، فهرعت إلى الطابق العلوى وقرعت الباب ..

أجيب على طرفتى بصوت غريب يمسأل بإنجليزية جيدة عن مبتغى ، فلما أجبت انفتح الباب الذى طرفته ..

حيأتى تيار من الهواء البارد .. وبرغم أن اليوم كان من أشد أيام يونيو حرّاً ، فباتنى ارتجفت وأنا أدخل الشقة الواسعة ، التى أثارت فحامة ديكوراتها

دهشتي في مكان قدر كهذا .. كل شيء هنا يوحى
بغرفة مكتب أحد السادة ، وليس بغرفة في نزل
رخيص كهذا .. واستطعت الآن أن أفهم أن الغرفة
التي تقع فوقى لم تكن إلا معمل الدكتور .. كان من
الواضح أنه رجل كريم المحتد مثقف و ذو تمييز ..

كان قصير القامة لكنه متناسق الأطراف ..
يرتدى ثياباً مهتمة ، وله وجه يحمل تعبيراً سيادياً
لكنه غير متعال .. تحيط بوجهه لحيه رمادية
كالمعدن ، ونظارة من طراز (باتس نيه) الذي يتم
تثبيته على قصبه الأنف .. وأعطى أنفه الشبيه
بالنسر الرجل ظاهراً يوحى بالنسب للمور^(*) ، بينما
السحنة عامة أقرب إلى سكان شمال إسبانيا ..

لكن الحقيقة هي أنني حين رأيت الرجل ، شعرت
بنفور لم يبرره شيء في ملامحه .. فقط وجهه
المزرق الشاحب ولمسته الباردة لعباً دوراً في هذا
الانطباع .. ربما كان السبب هو البرد الفريد الذي

(*) المور مجموعة من مسلمي إسبانيا الذين جاؤوا أصلاً من بلاد
المغرب ، وقد تركوا ظاهراً واضحاً في المعمار والفنون لدى الأندلس ..

جعلنى أشعر بنفور .. خاصة أن هذا البرد ليس
معتاداً في يوم حار كهذا ، وما هو ليس معتاداً
يسبب النفور فالشك فالخوف ..

لكن سرعان ما نسيت النفور وسط الإعجاب ..
لأن براعة الطبيب ظهرت حالاً ، برغم ارتجاف يديه
الشاحبتين وبرودهما .. لقد فهم مشكلتي بلمحة
واحدة ، وراح يعالجها وهو يظمنننى بصوت رخيم
إلا أنه أجوف غريب .. قال لى إنه ألد أعداء
الموت ، وإنه أفنى عمره في تجارب تهدف إلى
محاربته ..

مزج لى بعض العقارات من غرفة المعمل
وجعلنى أتناولها .. وبدت لى ثرثرته كأنها سر
لوجود رجل طيب المنشأ في هذه البيئة القذرة ..
وراح يتكلم كما لم يعتد من قبل عن ذكريات الأيام
الظنية الخالية ..

كان صوته غريباً ، لكنه مريح مهدئ للأعصاب ،
وقد راح يحدثنى كى يبعد تفكيري عن الألم .. قال
لى إن الإرادة هي ما يتحكم فينا ، وإنه من الممكن

يوماً ما أن أتطمع - قالها مزاحاً - كيف أعيش أو
أمارس نوعاً معيناً من الوعي، من دون قلب على
الإطلاق !! بالنسبة له كان يعاني أمراضاً عدة جعلته
مضطرباً للحياة حسب نظام خاص، وكى يحتفظ
بحرارة البيئة عند نحو 55 إلى 56 فهرنهايت، فإنه
كان يبرد الأمونيا بنظام معقد، هو سر صوت محرك
الجازولين الذى كنت أسمعه من حجرتى ..
شفيت بسرعة من نوبتى، ففارقته شاكراً ..

بعد هذا قمت بعدة زيارات - لابساً المعطف -
له، واعتدت أن أتأمل مجموعته العجيبة من
الكتب .. بدا لى أنه لا يحتقر تعاويذ العصور
الوسطى؛ لأنه كان يعتقد أن هذه الوصفات السحرية
تحوى تأثيرات نفسية معينة على الجهاز العصبى،
والذى منه بدأت الأعراض .. وتكثرت لما حكى لى
عن د. (توريس) من (فالنشيا) الذى قاسمه
تجاربه الأولى، وعالجه من مرضه منذ ثمانية عشر
عاماً، لكن الطبيب البارع لم يكد يشفى صاحبه حتى
سقط هو نفسه فريسة لذلك الغريم الذى قتله
كثيراً ..

وإذ مرت الأسابيع، لاحظت فى أسى أن صديقى
الجديد يفقد صحته ببطء لكن بشكل مؤكد .. لقد
تزايد شحوب بشرته، وصار صوته عميقاً غير
محدد النبرات، وبدا أن عضلاته لا تتحرك بنفس
التناسق، كما أن أفكاره صارت تفتقر إلى الوضوح
والعبادة .. وبدا لى أنه يشعر بالفعل بما يحدث له،
وكان فى كلماته لون من السخرية والتهكم لم يفتر
على وذكرنى بالنفور القديم الذى شعرت به نحوه ..

اكتسب بعض النزوات الغريبة، مثل الميل إلى
العطور القوية المثيرة والبخور، حتى إن رائحة
غرفته بدت كقبو ضريح فرعونى فى وادى
الملوك .. وفى الوقت ذاته ازداد نهمه إلى الهواء
البارد، وقمت بتقوية نظام تبريد الأمونيا فى
غرفته .. حتى صار بوسعه جعل الحرارة 34 درجة
وفى النهاية 28 درجة .. وبالطبع لم نفعل هذا مع المعمل
والحمام حتى لا يتجمد الماء أو تتجمد الكيماويات ..
كان كعادته الغريبة يكثر من الحديث عن الموت،
لكنه كان يضحك كلما جرى الحديث عن إعدادات

الدفن والجنائزة وما إلى ذلك .. وكنت أنا ممتنا له إلى حد أنني كنت أجلب له ما يريد من مشتريات ، وأزور حجرته يوميا وأعنى بها ، وأنا مدثر بمعطف فراء ثقيل اشتريته خصيصا لهذا الغرض .. إن مسز (هيريرو) صاحبة النزل اعتادت أن ترسم الصليب كلما رأته ، ثم تخلت عنه تماما لي ..

كانت للمتزل كله رائحة كريهة .. لكن حجرته كانت أسوأ من سواها .. وبرغم كل البخور والطور القوية .. وكنت كلما اقتربت عليه طبييا آخر ينفجر في الغضب بالقدر الذي تسمح به صحته .. وسرعان ما بدأ الإرهاق الذي ظهر في أول أيام المرض ، يفسح الطريق لإرادته الجبارة التي اتخذت شكلا غريبا جامحا ..

اعتاد أن يكتب وثائق طويلة لا أعرف محتواها ، وكان يطلق المظاريف ويوصيني بإعطائها لأناس معينين ذكرهم بالاسم .. ومنهم طبيب فرنسي قيل في وقت ما إنه ميت ، والآن يتهامسون بأشياء لا يمكن استيعابها بصدده .. وبعد ما انتهى كل شيء قمت بحرق هذه الأوراق ولم أفتحها ..

وفي يوم من أيام سبتمبر ، تكفلت نظرة منه بإحداث نوبة صرع لدى رجل جاء لإصلاح مصباح المكتب الكهربى .. وقد وصف له علاج الصرع ببراعة بينما هو يتوارى عن الأنظار .. ومن الغريب أن هذا الرجل قد عاش أهوال الحرب كلها دون أن يحدث له شيء كهذا ..

ثم - في منتصف أكتوبر - جاء هول الأهوال بشكل مفاجئ مذهل .. ذات ليلة في الحادية عشرة ، تحطمت مضخة آلة التبريد ، وهكذا خلال ثلاث ساعات لم يعد تبريد الأمونيا ممكنا .. واستدعيت د. (مونوز) بطرقات على الأرض . فصعدت إلى حجرته .. ورحت أحاول إصلاح المضخة ، بينما هو يسب ويلعن بصوت بلا حياة فيه ..

لم تتجح جهودى غير الاحترافية ، واستدعيت ميكانيكيا من كراج قريب ، ليجد أن ما من شيء يمكن عمله حتى الصباح .. هنا بلغ غضب الناسك المريض أقصاه ، واندفع إلى الحمام وهو يدارى عينيه بيده .. أدركت أنه قد لف وجهه كله بالضمادات ، وكانت هذه آخر مرة لرى عينيه فيهما ..

الآن بدأت برودة الشقة تتلاشى ، وفى الخامسة صباحاً أغلق الدكتور الحمام على نفسه ، وأمرنى أن أجلب له الثلج من الحانات الساهرة .. وكنت أعود من رحلاتى - التى كانت محبطة أحياناً - فأضع حملى أمام باب الحمام المغلق ، وأسمع صوتاً غليظاً يأمرنى : « مزيد ! مزيد ! »

فى النهاية جاء النهار ، وفتحت المحلات أبوابها .. وجدت متسكعاً عند ناصية الشارع اللثامى فأخذته إلى متجر قريب ، وطلبت من صاحبه أن يعطيه ما يستطيع حمله من ثلج ، وكلفته بهذه المهمة .. بينما كلفت نفسى بالبحث عن مضخة جديدة ، والبحث عن حرفى كفاء يقوم بتركيبها ..

واشتعلت غضباً بينما الساعات تمضى بلا طعام ولا راحة ، وأنا أبحث من مكان لآخر ، وأجرى عشرات المكالمات الهاتفية بلا جدوى ..

وفى الواحدة والنصف ظهراً وجدت مخزن آلات ، وعدت إلى النزل مع حرفيين قويين بارعين .. لقد فعلت كل ما قدرت عليه ، وتمنيت ألا أكون تأخرت كثيراً ..

لكن الرعب الأسود كان قد سبقنى ، ووجدت البيت فى فوضى عامة ، وسمعت رجلاً يصلى بصوت خفيض عميق .. كانت رائحة شنيعة فى الجو ، ويذا أن المتسكع الذى استأجرته قد فروه يصرخ بعينين مجنونتين ، ويبدو أن الفضول قد غلبه ليرى ما هناك .. ما كان يوسعه أن يفتح الباب من الداخل ، لكنه الآن موحد .. لاصوت من وراءه إلا صوت قطرات تتساقط ببطء ..

تناقشت بسرعة مع مسز (هيريرو) والحرفيين ، اقترحت أن نهشم الباب ، لكن صاحبة النزل وجدت طريقة لإدارة المفتاح من الخارج باستعمال قطعة سلك .. والآن واضعين المناديل على أنوفنا ، اقتحمنا الغرفة اللعينة التى غمرتها شمس الظهر الدافئة .. كانت هناك بركة صغيرة شنيعة عند المكتب .. وعلى ورقة ملطخة مبتلة كتبت كلمات بخط مشوه لا يرى .. ثم يمضى مسار القطرات نحو الأريكة ..

أما من كان - أو ما كان - على الأريكة فلا أجسر على القول .. لكنى قرأت ما كتب على الورقة الملطخة

الذي لا اسم له

قبل أن أشعل عود ثقاب وأحرقها .. بينما صاحبة
النزل والحرفيان يهرعون مذعورين ليحكوا ما رأوا
عند أقرب نقطة شرطة ..

هذا هو ما كتب .. كان غريباً في ضوء الشمس
وضجيج السيارات في الشارع ، لكنني صدقته ..
واليوم ما زلت أرتجف هلعاً كلما شممت رائحة
الأمونيا أو شعرت بهواء بارد على وجهي ..

« النهاية هنا .. » - كذا كتبت الحروف كريمة
الرائحة - « لا مزيد من الثلج .. لقد رأيت الرجل وفر
مذعوراً .. إن الدفاء يزداد ، ولن تعيش الأنسجة
أطول من هذا .. هل تذكر ما قتلته لك عن الأجساد
التي تعيش بالإرادة وحدها ؟ لقد كان د . (تورييس)
يعرف ، لكن الصدمة قتلته .. لأنه لم يتحمل ما عليه
أن يفعله وقتها ، حين كفت أعضائي عن العمل ..
لذا كان يجب أن يتم الأمر بطريقتي الخاصة ..
الحفظ بالبرد .. لأنني مت بالفعل في ذلك الوقت منذ
ثمانية عشر عاماً .. » .

الذي لا اسم له ..

كنا جالسين على قبر مهتم من قبور القرن السابع عشر ، بعد الظهيرة فى يوم خريف ، فى مقبرة (آرخام) القديمة ، نتحدث عن الذى لا اسم له . ونحن ننظر إلى شجرة الصفصاف العملاقة التى غطى جذعها الغليظ شاهد قبر قديم . قلت ملحوظة عابرة عن التغذية الممتازة التى تتلها جذور هذه الشجرة من الأرض الخصبة تحتها ، لكن صاحبي وبخنى على هذا السخف ، وقال إنه مادام لم يدفن أحد هنا من قرن ، فمن العسير أن توجد تغذية كالتى أتخيلها . بالإضافة لذلك - أضاف - فإن كثرة كلامى عن «الذى لا اسم له» و «الذى لا داعى لذكره» هى طريقة خشنة تتناسب مع مستواى المتواضع كأديب .. فإننى أنهى قصصى دالماً بأصوات ومشاهد مغزعة ، تشل أبطال قصصى وتتركهم بلا قدرة على سرد ما رأوه بالضبط ..

قال لى إننا نميز الأشياء بحواسنا الخمس ، فلا معنى للكلام عن شيء لا يستند إلى أسس مادية واضحة . دعك من الإضافات التى يسبقها السير (آرثر كونان دويل) وأمثاله (*).

كنت أتجادل كثيراً مع هذا الصديق (جويل ملتون) ، فقد تلقى تربية علمية صارمة تجعله لا يؤمن إلا بالماديات .. وكان يضيق ذرعاً من ولعى بالغامض والذى لا تفسير له . وبرغم أنه كان يؤمن بالخوارق ربما أكثر منى ، فإنه يرى أن مهمة الأديب ليست أن يقدم للناس مهرباً من أعباء الحياة اليومية . وبالنسبة له كانت للأشياء والمشاعر أبعاد وخواص وأسباب وآثار ، وكان يضع خطأ فاصلاً يستبعد به كل ما لا يمكن للشخص العادى أن يفهمه ..

بالإضافة لهذا كان يؤمن أنه ما من شيء يمكن أن يكون «لا اسم له» حقاً .. فلم يبد له هذا معقولاً .

(*) عرفنا من قبل أن السير آرثر كونان دويل - مؤلف (شيرلوك هولمز) الشهير - كان مهتماً بعلم تحضير الأرواح والسحر ..

أما أنا فى ذلك اليوم ، فكان مشهد شواهد القبور .. وأسقف بيوت المدينة المهجورة التى تسكنها الساحرات ، مما جعلنى راغباً فى الجدل بحق ، ولقد حملت طغائى إلى أرض عدوى ..

لم يكن عسيراً أن أبدأ بهجمة مضادة ؛ لأننى كنت أعرف أن (جويل) نفسه مازال نصف متعلق ببعض خرافات العجائز ، التى تضح كثير من المنطقين كى يؤمنوا بها .. خرافات عن ظهور الأشخاص الذين ماتوا فى أماكن بعيدة ، ووجوه المتوفين التى تنطبع على زجاج النوافذ التى نظروا عبرها كثيراً .. إن معنى هذا هو الإيمان بشيء يفوق المعايير العادية بكثير .. فلو كان يوسع صورة الميت الانتقال عبر القرون والأميال لنظهر لنا ، فكيف لا نؤمن بأن البيوت المهجورة تزخر بأشياء غامضة ؟ وكيف لا نفترض أن القبور مفعمة بذكاء بلا جسد تراكم عبر الأجيال ؟ وبما أن الأرواح لا تقيدها قوانين المادة ، فلماذا لا نفترض وجود أشباح لها أشكال آدمية ، لا بد أن تبدو لمن يراها من البشر أشياء (لا اسم لها) ؟ إن التعقل فى فهم هذه الأمور ليس إلا افتقاراً إلى الخيال والمرونة العقلية ..

كان الشفق قد دنا ، لكن أهدنا لم يرغب فى إنهاء المحادثة .. لم يبد (جويل) متحمساً لآرائى ، وبدأ راغباً فى إحضار آرائه التى - حتماً - كانت سبب نجلحه كمعلم .. بينما كنت أنا بالغ الثقة من منطقى ..

جاء الغسق ولمعت الأضواء عبر نوافذ ما من بعيد ، لكننا لم نتحرك .. كنت أعرف أن صديقى العقلانى المفتقر للشاعرية ، لن يعبأ بالشقوق المظلمة فى الجدران من خلفنا ، أو بالظلام الدامس فى البقعة التى يتمايل فيها بيت عتيق ، من القرن السابع عشر ، يفصلنا عن أقرب طريق مضىء .. هناك فى ظلام المقابر تكلمنا عن الذى لا اسم له . وبعد ما أنهى صديقى كلامه أخبرته بالدليل الرهيب وراء قصتى التى سخر منها أكثر من سواها ..

كان اسم قصتى (نافذة الصندرة) وقد نشرت فى يناير 1922 فى جريدة (الهمسة) . إن الشيء الذى تكلمت عنه مستحيل بيولوجياً ، وهى مجرد حكاية مما يفهم به القرويون ، وقد كتبتها بخفة كاتب طائش خيالى . لقد حكى (ماثر) من قبلى عن ذلك الشيء باعتباره قد ولد ، لكن ما من أحد إلا كاتب من

كتاب الإثارة يمكن أن يقول إنه كبير ، وإنه ينظر من نوافذ الناس ليلاً ، وإنه يتوارى في صندرة بيت .. حتى يراه أحدهم من النافذة بعد قرون ولا يستطيع وصف ما يراه ، حتى إن شعر رأسه ابيض هلغاً ..

لم يصدق صديقي (ماتنون) حرفاً حتى عرضت عليه بعض أوراق الأسرة ، التي يعود زمنها إلى ما بين عامي 1706 و 1723 ، وشرحت له سر الندوب على صدر جدى ، وحكى له عن الجروح التي أصيب بها كثيرون هنا ، والتي تنالقت الأجيال قصصها .. وعن الفتى الذى نحل بيتاً مهجوراً عام 1739 لبيحث عن آثار معينة هناك ..

لقد كان عصراً مخيفاً بلاحرية ولاجمال .. نرى هذا فى بقايا المباني والأثاث والمواعظ المسمومة التي تركها لنا بعض الوعاظ المتشجنين .. لكن داخل هذا السجن الحديدى الصدى كانت تحيا انحرافات شيطانية مؤكدة .. هنا إذن كان العصر الذهبى للذنين لا اسم لهم ..

فى كتابه السادس عن الشياطين - والذى ينبغي ألا يقرؤه أحد بعد حلول الظلام - راح (كوتون ماثر)

بغداد وإصرار ، يحكى عن الوحش الذى جلب معه ما هو أكثر من وحش ، لكنه أقل من إنسان .. الشيء ذو العينين المشوهتين .. ربما لم يكن يعرف أو عرف ولم يجسر على الكلام ..

كان الناس يتهامسون عن القفل الموضوع على الباب المفضى لسلم الصندرة ، فى منزل ذلك الرجل العجوز المريض الذى لم يرزق بأولاد ، وكيف أن هذا العجوز وضع شاهد قبر حجرياً بلاكتابة فوق قبر يجدر الابتعاد عنه ..

كل هذا وأكثر مكتوب فى منكرات أجدادى .. تلميحات عن أشياء لها عيون شائهة ، تراها خلف النوافذ ليلاً أو فى المروج .. شىء ما قد تحرش بجدى فى واد مظلم وتركه بجروح على صدره ، كأنما أحدثتها قرون .. وآثار مخالب قرد على ظهره .. فلما بحثوا عن آثار أقدام على الأرض وجدوا ما يشبه الحوافر ..

قال أحد الفرسان ذات مرة : إنه رأى عجوزاً بطارد شيئاً مخيفاً بلا اسم فى ضوء القمر الخافت

قبل الفجر ، وقد صدقه كثيرون .. كان هناك كلام غريب عن ليلة معينة فى عام 1710 حين دفن العجوز المحطم الذى لابن له ، فى السرداب خلف داره .. ولم يفتح أحد باب الصندرة ، بل تركوا البيت كما هو يخشاه الجميع .. وحين كانت اللوضاء تأتى منه كانوا يرجفون فرقا وبتهامسون ، ويأملون أن يكون القفل على الباب موصداً بإحكام ..

وبمرور الزمن تتخذ الأسطورة طابعا خاصا .. إننى أفترض أن الشيء - لو كان شيئا حيا - قد مات .. وقد ظلت الذكرى حية مخيفة ؛ لأنها ظلت سرا ..

فى أثناء سرد هذا الكلام لاحظت أن (ماتون) صار أميل للصلمت ، وبدا لى أن قصتى أثرت فيه بشكل ما .. وحين انتهيت لم يسخر ، بل سألنى عن الصبى الذى جن عام 1739 وعن البطل الحقيقى لقصتى ..

حكيت له كيف أن الصبى ذهب إلى المنزل المهجور ، وحسب أنه سيجد شيئا مثيرا .. تسلل الصبى لينظر عبر نوافذ غرفة الصندرة المفزعة هذه ، ثم عاد وهو يصرخ فى جنون ..

هنا عادت لـ (ماتون) طبيعته التحليلية .. فافترض على سبيل الجدل أن هناك وحشا خارقا للطبيعة قد وجد فعلا .. لكنه ذكرنى أنه حتى أبشع تحولات الطبيعة لا يمكن ألا يكون لها اسم .. حكيت له عن أساطير التجسيدات المفزعة التى تظهر قرب المقابر ، وتهاجم عبرى السبيل ليلا .. ولا أدرى إن كانت هذه التجسيدات حقاً تخفق الناس وتخيفهم حتى الموت أم لا ، لكنها كانت ذات تأثير قوى ، ومازال القوم المسنون هنا يخافونها برغم أن آخر جيلين قد نسيا هذه القصص .

لا بد أن الوقت قد تأخر كثيرا الآن .. احتك بى وطواط وحيد صموت ، واعتقد أنه لمس (ماتون) كذلك ، وإن كنت لم أر هذا .. قال لى :

- « لكن ، هل مازال ذلك المنزل ذو الصندرة موجودا ومهجورا ؟ »

أجبت :

- « نعم .. لقد رأيته .. »

- « وهل وجدت شيئاً هناك فى الصندرة أو أى مكان آخر؟ »

- « كانت هناك بعض عظام .. ربما هى مارآه الصبى .. ولو كان بالغ الحساسية ، لما احتاج إلى شيء يثير رعبه أكثر من هذا .. ولو كانت جميعها جاءت من كائن واحد ، فالأمر يتطرق بلغز مخيف حقاً .. لقد وجدت أنه من التجديف أن أترك هذه العظام حيث هى ، وعدت بحقيبة ونقلتها إلى تلك المقبرة خلف الدار .. كانت هناك فتحة مناسبة سهلت عملى .. لاتحسبني معتوها .. كان عليك أن ترى الجمجمة .. لقد كان لها قرنان طول الواحد أربع بوصات ، لكن الوجه والفك شبيهان بوجهى ووجهك .. »

هنا شعرت بقشعريرة تنبعث فى جسد (ماتون) الذى التصق بى أكثر ، لكن فضوله كان لا يرتوى :

- « وماذا عن زجاج النوافذ؟ »

- « لم يكن هناك .. لا أثر للزجاج فيها ، وإحدى النوافذ لم تكن ذات إطار أصلاً .. أحسب أنه لم يكن

فيها زجاج منذ مائة عام أو أكثر . ربما هشمتها الصبى بنفسه .. »

- « لا بد أن أرى هذا المنزل .. لا بد أن أستكشفه .. والقبر الذى رميت فيه العظام .. والقبر الآخر الذى لاشاهد له .. لا بد أن رؤيته مخيفة نوعاً .. »

- « بل كنت تراه بالفعل من مجلسنا هذا .. حتى ساد الظلام ! »

كان تأثير هذا على صديقى أكثر مما توقعت بكثير من هذه اللمسة السحرية .. لقد ابتعد عنى فى توتر ونظر إلى بعيد ، وبالفعل أخرج صرخة قصيرة كانت منفذاً للتوترات التى يشعر بها .. كانت صرخة غريبة والمعزج هنا أن صوتاً آخر جاوبها .. لأننى سمعت بعدها صوت صرير عبر الظلام الدامس ، وعرفت أنه صوت النافذة تفتح فى ذلك المنزل المثلوم بقربنا .. ولأن كل إطارات النوافذ قد سقطت ، فإبنى عرفت أنه صوت نافذة تلك الصندرة ..

ثم هبت عاصفة من الهواء البارد المولم من ذلك الاتجاه الرهيب .. تبعثها صرخة تخرق السمع من

جوارى .. من ذلك القبر الذى حوى رفات الإنسان
والوحش معاً .. وفى اللحظة التالية أطلقت بهى من
فوق مقعدى الكريه ، ضربة عاتية من كيان هائل
الحجم ، غير محدود القوى .. فسقطت فوق ذلك
القبر بأعشابه التى اقتلعت حتى للجذور .. بينما من
القبر تعالى صوت عال من الشهيق والأزيز ، جعلنى
أتخيل حشداً من الأرواح المشنومة .. ثم هبت دوامة
من ريح ثلجية يقشعر لها البدن ، مع هدير قطع
القرميد السائبة والجص .. لكننى فقدت رشدى
لحسن الحظ قبل أن أتبين معناها ..

كان (ماتتون) أصغر سناً منى ، لكنه أكثر
مرونة .. لأننا فتحنا عينينا فى اللحظة ذاتها برغم
أن إصابته كانت بالغة .. كان فراشنا متجاورين ،
وعرفنا بعد ثوان أننا كنا فى مستشفى (سانت
مارى) .. وكان المحيطون بنا يتحرقون شوقاً
لسماع قصتنا ، وحاولوا إتعاش ذاكرتنا بأن حكوا لنا
كيف وجدونا .. عرفنا أن فلاحاً وجدنا عند الظهر
على بعد ميل من المقابر القديمة ، حيث كان هناك
منبح قديم .. كان (ماتتون) مصاباً بجرحين بليغين

فى الصدر وبعض سحجات فى ظهره .. أما أنا فلم أكن
جريحاً ، لكنى كنت مكسواً بالكدمات الغريبة بما فيها
أثر حافر مشقوق .

كان واضحاً أن (ماتتون) يعرف أكثر منى ، لكنه
لم يقل الكثير لمن حولنا ، وزعم أننا هوجمنا من
ثور غاضب .. فلما اتصرف الأطباء سألته فى لهفة :
- «حسن يا (ماتتون) .. ما سر هذه الجروح
إن؟»

وكنت أكثر وهناً من أن أتهلل حين أخبرنى بما
توقعته :

- «كان فى كل مكان .. شىء كالجيلاتين أو الوحل
إلا أنه كان ذا أشكال محددة .. ألف شكل من أشكال
الرعب التى تفوق الذاكرة .. وكانت له عينان
مشوهتان .. لقد كان هو الاضطراب الأعظم ..
الشناعة المطلقة .. (كارتر) .. لقد كان هو الذى
لا اسم له !»

1923

خلف جدار النوم ..

لطالما تساءلت عما إذا كان أكثر البشر قد توقفوا ليتأملوا أهمية الأحلام الهائلة ، والعالم المبهم الذي تنتمي إليه .. وإذا كان عدد كبير من رؤانا الليلية ربما لا يزيد على انعكاسات لخبرات صحونا كما قال (فرويد) ، فإن جزءاً معيناً يظل بطبيعته الأثيرية ممتنعاً عن التفسير العادي ، ويعطينا تأثيره المقلق المثير لمحة خاطفة عن عالم عقلي لا يقل أهمية عن العالم المادي ، لكن يفصله عنه جدار لا يمكن تجاوزه .. ومن خبرتي لا أشك في أن الإنسان حين يغيب عنه الوعي الأرضي ، إنما يقم في عالم آخر غير مادي يختلف كثيراً عن الذي نعرفه . ومن هذه الذكريات المقتتة المبهمة قد نستنبط الكثير عند اليقظة ، لكننا لانبرهن إلا عن القليل . وأحياناً أحسب أن تلك الحياة غير المادية قد تكون هي حياتنا الحقيقية ، وأن وجودنا على هذه الكرة المائية هو الشيء التخلي .

خلف جدار النوم ..



كنت شابًا مفعماً بهذه الأفكار حين أفقت ذات يوم في شتاء 1900 - 1901 ، وحين عرفت الرجل الذي ظلت حالته تلاحقتني من وقتها بلا توقف . وكان اسمه كما سجل في المصحة العقلية التي كنت طبيبياً فيها ، هو (جو سلاتر) أو (سلاتر) ، وكان له سميت واحد من أهالي (كاتسكيل ماونتين) ، وهم سلالة غريبة من الفلاحين انعزلت نحو ثلاثة قرون في الريف الشاسع المهجور ، وأكسب هذا طباعهم انحطاطاً بربرياً . لم يكن لدى هؤلاء القوم مفهوم للأخلاق ولا القانون ، ومستوى ذكائهم أقل بكثير من مستوى أي من الأمريكيين الأصليين .

لم يبد شيء من هذه الخطورة على (جو سلاتر) حين جاء إلى المصحة ، مخفوراً بأربعة من رجال شرطة المقاطعة ، وقد وصفوه بأنه رجل خطير جداً . ويرغم أن قوامه كان أضخم من المعتاد ، ويرغم قوته العضلية ، فبقه كان يوحى بالغباء غير المؤذى يتبدى في عينيه المائيتين الزرقاوين الشاحبتين . كان سنه غير محدد لكننا استنتجنا من

الصلع في مقدمة رأسه ، وتحلل أسنانه أنه في الأربعين من العمر .

عرفنا من ملفات الشرطة أنه متسول وصياد وصانع فخاخ .. وأنه كان يوماً غريباً بالنسبة لقومه .. كان ينام في ساعة متأخرة من الليل ، ثم يصحو فيتكلم عن رؤى شاذة ، تثير الهلع حتى في قلوب القوم الذين يفتقرون إلى الخيال .. وكان هو نفسه خائفاً مذعوراً مثل مستعميه .. وبعد ساعة من الاستيقاظ ينسى كل ما قال ، أو ينسى ما جعله يقول ما قال ، ويعود لطبيعة سكان الجبال النشيطة الطلقة .

وكلما تقدم (سلاتر) في العمر كانت حالته تزداد توحشاً وعنفاً ، ثم حدثت المأساة التي قادته إلى المصحة منذ شهر واحد .

ذات يوم صحا عند الظهيرة بعد سبات طويل ، وراح يعوى عواءً مخيفاً غير أرضى ، حتى إن الجيران هرعوا إلى كوخه القذر . واندفعوا إلى الجليد بالخارج رفع ذراعيه لأعلى ، وقام بعدة وثبات

نحو السماء ، وهو يتحدث عن بلوغ «كوخ كبير كبير .. يتألق سقفه وجدراته .. بينما الموسيقى الغريبة البعيدة تأتي من بعيد ..» حاول رجلان أن يمسكا به فقاومهما بوحشية ، وراح يتكلم عن حاجته إلى قتل شيء «يلمع ويهتز ضحكاً ..»

ضرب أحدهما ، ثم وثب على الآخر بوحشية شيطانية نموية ، وراح يصرخ أنه «سيثب في الهواء ، ويحرق كل ما يعوقه ..»

فرت الأسرة والجيران ذعرًا ، وحين عادوا مستجمعين شجاعتهم لم يجدوا (سلتر) ، لكنهم وجدوا شيئاً يصعب تعرفه ، كان إنساناً من ساعات ..

ولم يحاول سكان الجبل البحث عن (سلتر) ، وتعنوا أن يكون قد هلك من البرد ، لكنهم بعد أيام سمعوا صراخه من واد ضيق سحيق .. فعرفوا أنه مازال حياً .. كونوا مجموعة مسلحة منهم ، ولحق بهم أحد رجال الشرطة النادرين في هذه الأصقاع . وفي اليوم الثالث وجدوا (سلتر) فاقد الرشد في

لجوف شجرة ، واقتادوه إلى أقرب سجن . حيث فحصه أطباء عقليون منتدبون من (البناتي) .. ولهم حكى الرجل قصة بسيطة ..

قال لهم إنه نام بعد ظهر يوم ، وصحا ليجد أنه واقف في الجليد خارج كوخه ، ووجد يديه ملوثتين بالدم ، وجثة جاره (بيتر سلدر) مشوهة ملقاة عند قدميه .. فر وقد أصابه الهلع إلى الأحرش مبتعداً عما حسبه جريمته .. لم تكن هناك حقائق أكثر بوسع تقديمها ، أو بوسع مستنظقيه استخراجها منه ..

وقضى (سلدر) ليلته دون أحداث ، إلا أنه في الصباح خطر لدكتور (بارنارد) الذي كان يراقب المريض ، أنه رأى بريقاً ما في عينيه الشاحبتين ، كما أنه شفته أظهرت حزماً ذكياً . إلا أنه عند الاستجواب لم يبد (سلدر) إلا الخواء العقلي المميز لسكان البلاد ، وكرر فقط ما قاله في اليوم السابق ..

في اليوم الثالث حدثت أول نوبات الرجل العقلية ، فبعد نوم قلق انفجر في جنون قوى ، إلى درجة أن

الأمر اقتضى أربعة رجال ليضعوه فى قميص الأكمام .. وأصغى الأطباء بعناية إلى هذباته الذى استمر نحو ربع ساعة ، وراح يتكلم عن الصروح الخضراء المضيئة ، وعن الموسيقى الغريبة ، وعن الكيان الغامض الذى يهتز ويسخر منه .. وكانت قمة رغباته أن يفتك بهذا الكيان العجيب ..

ثم انتهت نوبة الهذيان ، فخبأ بريق الجنون من عينيه ، وسأل الأطباء عن سبب تقييده هكذا .. وقد فك الأطباء الحزام الجدى عنه ، ثم أقتعوه بإرتدائه لمصلحته الخاصة وبراءته ..

كان الأطباء حائرين يصدد مصدر قصص (سلادر) ، فهو لا يقرأ ولا يكتب .. ولا يمكن لتخيلاته أن تجيء من أية أسطورة أو خرافة شائعة .. كان يعبر بطريقته الخاصة ، ويهذى بأشياء لا يفهمونها ..

وسرعان ما اتفق الأطباء على أن الأحلام الغريبة هى أساس المشكلة .. أحلام قادرة على السيطرة على العقل المتيقظ لهذا الرجل التعس .. وهكذا حوكم (سلادر) بتهمة القتل ، وأُفرج عنه

للجنون وعهد به إلى المصححة ، التى أتولى فيها منصباً شديداً التواضع ..

وكما تعرفون وقتها ، كنت بالغ الاهتمام بالأحلام ، لذا يمكنكم تخيل الحماس الذى شعرت به حين سمعت عن حالته .. وبدا أنه يجد صداقة ما فى شخصى .. ربما بسبب الطريقة للرقيقة التى كنت أستجوبه بها . لم تتصل به أسرته قط ، وربما وجدت لنفسها راب أسرة آخر ، كما هو دأب سكان الجبال ..

وكننت أصغى لخيالاته وأتساءل : كيف لمخلوق محدود الذكاء من سكان الجبال ، أن يملك هذا البريق من الخيال الجدير بعبرى ؟ وكان ملخص أبحاثى هو أنه - فى عالم الأحلام غير المادى - سبج (سلادر) عبر وديان مذهلة خلاصة ، وحدائق ورياض ومدن فى منطقة لا يعرفها البشر ، وهناك لم يعد فلاحاً جاهلاً ، بل هو شخص مهم يتحرك بثقة .. لا يتهدده إلا كيان أنيرى مجهول لا يبدو أنه ذو مظهر بشرى . هذا الشيء قد آذى (سلادر) أذى مخيفاً لكن لا يمكن وصفه ، ومن هنا اشتاق (سلادر)

إلى الانتقام .. وبدأ لى أن علاقة ما تربطه بالكائن
المضىء فى أحلامه .. لا أدرى كيف ، لكنه كان
يعتبر نفسه وعدوه كياتين مضيين من النوع
ذاته .. وخطر لى أكثر من مرة أنه لو كانت الأحلام
عالمًا ماديًا ، فإن اللغة المنطوقة لاتصلح وسيطًا
لشرح هذا العالم . لم أخبر الأطباء الأكبر سنًا بهذا ؛
لأن منتصف العمر أميل إلى النقد والسخرية ورفض
الأفكار الجديدة .. ثم إن مدير المصحة قد أذرنى
من قبل أنني أفرط فى العمل ، وأن عقلى بحاجة إلى
راحة ..

كان لدى يقين أن الأفكار الآدمية هى عبارة عن
حركة ذرات ، يمكن تحويلها إلى طاقة كالحرارة
والضوء والكهرباء .. وهذا اليقين جعلنى أفكر فى
إمكانية التخاطر (تليثائى) باستخدام جهاز خاص ،
ولقد أعددت فى مبنى الكلية جهازًا خشبًا للإرسال
والاستقبال ، أقرب إلى جهاز التلغراف فى تلك
السنين التى سبقت اختراع اللاسلكى .. وجربت

الجهاز دون نجاح على زميل ، ثم وضعته مع أشياء
أخرى للاستعمال فى يوم ما ..

أما وقد قابلت (سلاتر) فقد أخرجت هذه الآلات
وأعدت إصلاحها ، ونظرًا لحماستى قررت أن أجربها
فى أول فرصة .. ولسوف أتحن أول فرصة من
لوبات (سلاتر) لأضع تلك الموصلات على جبينه ،
والمستقبل على رأسى .. بالطبع لم أخبر أحدًا
بتجربى لكننى واصلت الإعداد لها ..

وفى اليوم الواحد والعشرين من فبراير عام 1901
حدث الشيء . وإذا أنظر للأحداث الآن أشعر كم هى
غير حقيقية ، وأتساءل ما إذا كان دكتور (فنتون)
العجوز محققًا حين اتهم خيالى المتوتر . لقد أصغى
لى بأبوية وهدوء ، ثم أمر لى بمسحوق مقو
للأعصاب ، وأمرنى بالقيام بإجازتى السنوية بعد
أسبوع من هذا ..

فى تلك الليلة كنت مهتاجًا حقًا ؛ لأن (جوسلاتر)
- برغم العناية الممتازة التى يلقاها - كان بالتأكد
يموت .. ربما هى حريقته فى الجبال التى يفتقدتها ،

أو ربما اضطراب عقله قد فاق تحمل جسده .. وفي
النهاية صار خمولاً ، وإذ هبط الظلام ، غاب في نوم
غير مريح ..

لم أربطه بالحزام الجلدي ؛ لأنه كان أكثر وهذا من
أن يكون خطراً .. لكنني وضعت على جبينه قطبي جهاز
(الراديو) الكوني . وتمنيت دون أمل كبير أن أتلقى
رسالة أخيرة من عالم الأحلام في الوقت القصير
الباقى .. وعلى جبينى ثبتَ جهاز الاستقبال ..

كان صوت موسيقا غريبة هو ما أثار انتباهي ..
نذببات .. نغمات .. أوتار .. وأمام عيني برز مشهد
جميل لا يصدق لجدران .. عواميد تستند إلى نيران
حية ، تلتصق حول البقعة التي شعرت أنني أخلق فيها
عاليًا .. وامترجت بهذا العرض البلاطي الفخيم ،
لمحات من سهول واسعة ووديان خصيبة وجبال
عالية ، يكسو قممها كل مشهد ساحر تستطيع عيناى
أن تراه ..

وأدركت أن عقلى يملك مفتاح تلكم التحولات
الساحرة .. وسط هذا الكون الفردوسى لم أمض

كغريب ؛ لأن كل هذه المشاهد بدت مأثوفة لى .. كما
بدت لأبداً من البشر من قبلى ، وكما ستبدو لهم من
بعدى ..

ثم جاء الطيف اللامع لأخى فى الضياء ، وراح
يتكلم معى روحاً إلى روح . كانت تلك ساعة نصر
لأن رفيقى يفر أخيراً من عبودية دائمة ، ليغيب
وسط الأثير السرمدى .

سبحنا هكذا لبرهة من الوقت ، حين بدأت أشعر
باضطراب وزيج فى الموجودات من حولنا .. كأن
قوة ما تجذبني ثانية إلى الأرض ، آخر مكان وددت
أن أكون فيه الآن . وشعر الشكل الذى يخلق جوارى
بتغير كذلك ؛ لأنه أنهى محادثته تدريجياً ، واستعد
ليختلف بعيداً عن عيني . وعرفت منه أننا عائدان
إلى القيود من جديد ، لكن بالنسبة له ستكون هذه
آخر مرة .. وخلال أقل من ساعة سيذهب رفيقى
عبر الطريق اللبنى فى المجرة إلى حدود الأبدية ..

وكان هناك ما يشبه الصدمة حين نهضت فجأة
من مقعدى ، ورأيت المحتضر على الأريكة يتحرك

حركة مترددة .. كان (جو سلاتر) ينهض حقًا ، لكن في الغالب لآخر مرة . وإذ بقفت للنظر رأيت أن خديه الضامرين يتألقان بلون لم أعهده فيهما من قبل .. الشفتان كذلك كانتا مزومتين كأنما تتحكم فيهما شخصية أقوى ..

أعدت إحكام جهاز الاستقبال على رأسى أملأ أن ألتقط أية رسالة أخيرة يحاول المتوفى بثها ..

فجأة استدار الرأس نحوى ، وانفتحت العينان مما جعلنى أرتجف رعبًا مما رأيت .. إن الرجل الذى كان (جو سلاتر) يرمقنى الآن بعينين لامعتين واسعتين ، بدا كأن أزرقهما قد ازداد قتامة .. ولم يخامرنى شك أننى أهدق فى وجه يكمن خلفه عقل من رتبة أعلى من عقولنا ..

وسرعان ما وصلت الرسالة التى كنت أرتقبها ، وكانت بلغة الأفكار لكنها جلية جدًا .. إلى حد أننى حسبتهى أتلقاها بالإنجليزية ..

- « (جو سلاتر) قد مات .. »

جاءنى الصوت الذى تحجرت لسماعه روحى ، من مكان ما خلف جدار النوم .. ونظرت عيناى إلى أريكة الأقم ، لكن العينين الزرقاوين كانتا بعد تحمقان .. « من الخير له أن يموت .. لأنه ما كان ليحتمل الهوية الكونية .. جسده لا يستطيع أن يضبط نفسه لحياة الأثير . لقد كان أقرب إلى الحيوان وبعيدًا جدًا عن الإنسان .. لكن عن طريقه جاءتك الفرصة لتقابلنى ؛ لأن كائنات الأثير لا تلتقى مع كائنات الكواكب أبدًا ..

« أنا كيان شبيه بالذى تكونه أنت نفسك عندما يحررك النوم .. أنا أخوك الضوئى .. نحن نحيا فى فضاء بلانهاية ، ونعيش فى زمن بلانهاية .. أنا وأنت قد جننا العوالم المحيطة بـ (آركتوس) ، وعشنا داخل الفلاسفة الحشرات الذين يعيشون فوق رابع أقمار المشتري ..

« لا أستطيع الكلام أكثر ؛ لأن جسد (سلاتر) قد برد وتصلب وكف مخه عن إرسال الموجات .. كنت أنت صديقى الوحيد على هذا الكوكب .. الوحيد الذى بحث عنى فى رأس هذا المخلوق الراقد على الأريكة .

سنلتقى ثانية .. ربما فى الضباب المتألق لـ (أوريون) ..
أو على قمة جبل فى آسيا فى عصور ما قبل
التاريخ .. ربما فى حلم تراه الليلة ولن تتذكره .. أما
الآن فأنا راحل .. يمكنك أن ترى الضوء المنبعث
منى إذا نظرت الليلة إلى السماء ، قرب تلك النجمة
التي تسمونها (ألجول) أو (نجمة العفريت) .. »

وهنا توقفت موجات الأفكار ، وعدت أرمى
العينين الزجاجيتين الميتينتين .. زحفت إلى معصمه
وتحسست نبضه ، لكنه كان معصماً متصلباً بارداً ..
وانفتح الفم كاشفاً عن أسنان (سلتر) المتأكلة ..
غطيت وجهه بالملاءة ثم عدت إلى غرفتي ..
كنت بحاجة إلى نوم لا أتذكر أحلامه فيما بعد ..

والمغزى ؟ أنا لم أفعل سوى أن حكيت لك أحداثاً
مرت بي ، تاركاً لك أن تفسرها كما تشتهي .. وكما قلت
أنفاً ، فإن رئيسي الدكتور (هنتون) ينفي كل ما حكيت به ..
ويقسم إننى انهزت من الإرهاق العصبى ، وأننى
بحاجة إلى إجازة براتب .. إن (سلتر) ليس إلا
مريض بارانويا ، تنبع هلاوسه من القصص الشعبية
حيث نشأ ..

لكننى لم أستطع نسيان ما رأيت فى السماء ليلة
مات (سلتر) .. لن أحكى شيئاً لكننى سأترك الكلام
بالحرف للتقرير الذى كتبه عالم الفلك العظيم الأستاذ
(جاريث سيرفيس) :

« فى 22 فبراير 1901 ظهر نجم جديد مذهش ، فى
موضع غير بعيد عن النجمة (ألجول) ، ولم يكن أحد
قد رأى نجومًا عند هذه النقطة من قبل .. وخلال
أربع وعشرين ساعة صار النجم متألقاً ، حتى إنه
أخفى ضوء النجمة (كابيللا) ، وبعد أسبوعين بدأ
ضوؤه يخبو .. وخلال بضعة أشهر لن يتمكن أحد
من رؤيته بالعين المجردة ثانية .. »

1919

الشجرة ..

عند منحدر تغطيه الأعشاب من جبل (مينالوس) في (أركاديا) ، توجد أيكة زيتون جوار أطلال دارة قديمة .. جوار الأيكة ذاتها قبر كان بهي الجمال فيما مضى ، وعليه آيات من تحت الساحر ، لكنه الآن تحلل كما المنزل .. وعند طرف القبر نمت شجرة زيتون ، استطاعت جنورها أن تخترق الرخام اختراقاً .. شجرة زيتون منفردة المنظر ، كأنها رجل مخيف أو جسد إنسان شوهه الموت ، حتى إن القرويين يخشون المرور جوارها ليلاً حين يبزغ القمر بين الأغصان المهشمة ..

إن جبل (مينالوس) مكان مسكون بـ (بان) المخيف الذي يتبعه كثيرون ، ويشك القرويون في وجود علاقة بين الشجرة وهؤلاء ، لكن أحد مربى النحل الذي يعيش في كوخ مجاور حكي لى قصة تختلف ..

الشجرة



منذ أعوام حين كانت تلك الدارة جديدة متأقفة ،
عاش فيها نحاتان هما (كالوس) و (موسيدس) .
وكان عملهما يمتدح من (ليديا) إلى (نيابوليس) ،
ولم يجسر واحد أن يقول إن أحدهما كان يفوق
الأخر مهارة . كان كل الناس يمتدحون النحاتين ،
ولم يخطر لأحد أن الغيرة الفنية قد تعكس صفو
صداقتهم الأخوية ..

لكن طباع (كالوس) و (موسيدس) لم تكن
متمائلة ؛ فبينما كان (موسيدس) يعربد ليلاً وسط
ملاهى (تيجيا) ، كان (كالوس) يبقى فى داره
ينعم بالجلوس فى الأيكة .. وهناك يتأمل فى الرؤى
التي تفعم عقله ، ويصمم الروائع التي سيخلدها من
الرخام الذي يتنفس .. وقال البسطاء إنه يستلهم
الوحي من الأرواح التي تسكن الأيكة ؛ لأنه لم يكن
يتخذ أية موديل حية معروفة .. وقيل إنه يستلهم
حوريات الغابة بارعات الحسن ..

مشهوران هما (كالوس) و (موسيدس) حتى
إن أحداً لم يندهش ، حين أرسل طاغية (سيراكوزا)

رجالهما إليهما ، ليتفقا على تمثال (تايك) الذي أراد
أن يشيده فى المدينة .. يجب أن يكون التمثال هائل
الحجم بارع الصنع ؛ لأنه سيكون عجيبه البلاد
ومقصد المسافرين .. ومن أجل هذا للشرف طلب
من (كالوس) و (موسيدس) أن يتناحسا .. وطلب
منهما ألا يخفى أحدهما عمله عن الآخر ، بل يمنحه
النصح والرأى ، وهكذا سيكون لدى المدينة تمثالان
أجملهما يذوى أمامه خيال الشعراء ..

رحب النحاتان بعرض الطاغية ، ولأيام لم يسمع
الخدم إلا ضربات الأزاميل .. ولم يخف (كالوس)
و (موسيدس) ما صنعاه عن بعضهما ، لكنهما
أخفياه عن العالم .. ذلك الجمال الذي كان حبيس
الصخر منذ الخليقة ، بانتظار إزميل بلرع يحرره ..

وفى الليل - كما فى الماضى - كان (موسيدس)
يقصد ملاهى (تيجيا) ، بينما (كالوس) يهيم فى
أيكة الزيتون .. ولكن إذ مضى الوقت لاحظ الناس
فى (موسيدس) افتقاراً إلى المرح ، وبدا لهم هذا
غريباً .. ومر الوقت ، لكن فى وجه (موسيدس) لم
يبد ذلك الحماس المتوقد المتوقع ..

ثم ذات يوم تكلم (موسيدس) عن مرض أصاب
(كالوس) ، عندها فهم الجميع سر اكتتابه لأن
صداقة الرجلين كانت قوية مقدسة .. ذهب كثيرون
ليروا (كالوس) ، وبالفعل كان وجهه شاحباً لكنه كان
سعيداً ، مما أعطى نظرتيه سحرًا يفوق نظرة
(موسيدس) ، الذى كان شاردًا مشتتًا ، وقد أبعد
كل العبيد عن صديقه ليتفرغ للعناية به .. وخلف
المتأثر كان تمثالان لـ (تاك) لم يسهما المريض
وصاحبه من زمن ..

وازداد وهن (كالوس) برغم محاولات الأطباء
الحائرين ، وعناية صديقه (الفاتقة) به ، ومرارًا
تمنى أن يحملوه إلى الأيكة التى أحبها ..

وجاءت النهاية ليرحل (كالوس) عن عالمنا
هذا ، وبكى (موسيدس) كثيرًا ، ووعد صاحبه
بضريح رخامى أجمل من قبر (موسولوس) .. لكن
(كالوس) منعه من الكلام عن الرخام ثانية ، ولم
يطلب منه إلا شيئاً واحداً : أن تدفن فروع من
أشجار زيتون معينة جوار قبره لصيقة برأسه ..
وسرعان ما مات ..

جميل بما يفوق الوصف .. ذلك الضريح الذى
بناه ونحته (موسيدس) لصديقه الحبيب .. ولم ينس
أن يزرع غصون الزيتون كما طلب (كالوس) ..
فما إن انتهى الحزن حتى بدأ (موسيدس) يعمل
فى تمثال (تاك) .. الآن صار المجد مجده
بالتأكيد ، وراح يعمل بلا انقطاع .. أما فى الليل
فكان يسهر جوار قبر صاحبه ، حيث نمت شجرة
زيتون قرب رأس النائم .. كان نمو الشجرة سريعاً
للغاية ، وكان شكلها غريباً يوحى بالافتتان والنفور
مغا ..

بعد ثلاثة أعوام من وفاة (كالوس) أرسل
(موسيدس) رسالة إلى الطاغية ، وتهامس القوم
فى أسواق (أثينا) أن التمثال العظيم قد انتهى ..
فى الآن ذاته كانت الشجرة قد بلغت حجماً خرافياً
يفوق أية شجرة أخرى .. وجاء كثيرون ليروا
الشجرة وينعموا بنحت (موسيدس) .. بهذا لم يعد
الفنان وحيداً قط ، لكنه لم يتصابق لهذا .. بالأحرى
كان يهاب الوحدة بعد ما انتهى العمل الذى شغف
حواسه ..

كانت السماء سوداء فى الليلة التى جاء فيها
رسل الطاغية إلى (تيجيا) .. وعرف الجميع أنهم
جاءوا ليحملوا تمثال (تاك) العظيم ، ويجلبوا
المجد لـ (موسيدس) ..

كان الرجال سعداء ، وقد راحوا يتحدثون عن
الطاغية المتألق ، وعن عاصمته العظيمة .. ثم تكلم
رجال (تيجيا) عن طيبة قلب (موسيدس)
وصلاحه ، ومدى حزنه من أجل فقد صاحبه ..

تزايد عواء الريح ف شعر رجال (سيراكوزا)
و (أركاديا) بالتوتر ، وصلوا ..

وفى الصباح اتجه رسل الطاغية إلى المنحدر
ليروا التمثال ، لكن ريح الليل كانت قد فعلت أشياء
غريبة .. كان صراخ العبيد يتعالى من بين
الخرائب ، ولم يبد أثر لغرفة نحت (موسيدس) ..
لأن فوق هذا البناء السخى المترف قد سقط غصن
ثقيل من الشجرة الجديدة ، ليحيل تلك القصيدة
للبارعة المنحوتة من الرخام إلى حطام قبيح .
ووقف الغرباء وسكان (تيجيا) يرمقون تلك

الشجرة العجيبة التى تمتد جذورها إلى أعماق قبر
(كالوس) ، والتى بدت بشرية تمامًا فى هذه
اللحظة .. أصابهم الهلع وازدادوا هلعًا حين راحوا
يبحثون عن (موسيدس) وسط الحطام ، فلم يجدوا
له أثرًا ..

حزن الفريقان .. أهل (سيراكوزا) حزنوا ؛ لأنه
لم يعد تمثال يحملونه إلى الوطن ، وأهل (تيجيا) ؛
لأنه لم يعد عندهم فنان يتوجونه .. واتصرفوا
كاسفى البال ..

إلا أن أيقنة الزيتون ما زالت هناك .. كما ما زالت
الشجرة التى تخرج من قبر (كالوس) ..

وقال لى مرعى التحل العجوز إن الأغصان تهمس
لبعضها مرارًا وتكرارًا فى رياح الليل :

- « أويدا أويدا ! أنا أعرف .. أنا أعرف ! » -

الصورة في المنزل ..

إن الباحثين عن الرعب يقصدون عادة أماكن غريبة تائية .. ومن أجلهم وجدت سرانيب الموتى من عصر البطالمة ، والأضرحة المنحوتة في بلدان كابوسية ، ومن أجل الرعب يتسلقون أبراج القلاع الخربة في الراين ، ويصعدون الدرجات التي يغطيها نسيج العنكب في المدن المنسية في آسيا .. الغابات المسكونة والجبال المهجورة هي مزارهم .. لكن أفضل هذه الأماكن طراً هو المزارع المهجورة في (نيوإنجلند) ؛ لأن عناصر القوة والوحدة والشناعة والجهل ، تجتمع هناك لتصل إلى الكمال في فن البشاعة ..

أما أكثر الأماكن رعباً فهي تلك البيوت الخشبية غير المظلية البعيدة عن الطرق المأهولة .. منذ مائتي عام شيدت هنا حين زحفت الأغصان وتشعبت ، وهي الآن متوارية تماماً وسط فوضى

الصورة في المنزل



اللون الأخضر ، لكن النوافذ مازالت تطل بشكل مفرع ، كأنما ترمش في نعاس طويل قاتل ، تحاول به أن تنسى ما رأته كي لا تصاب بالجنون ..

وفي هذه البيوت عاشت أجيال من قوم غريبى الأطوار ، لم ير لهم العالم مثيلاً من قبل .. لقد طلبوا الحرية كوحوش البرية ، ولكنهم خضعوا في رعب للخيلالات الكئيبة التى عاشتهم فيها عقولهم .. ولقد تفاعل بعدهم عن سبل الحضارة مع كبتهم للمستمر وكفاحهم من أجل الحياة ، كى تتسلل إليهم عادات تمت بصلة لأجدادهم الشماليين البدائيين .. بالفلسفة كانوا قساة ، وبالضرورة كانوا عمليين ، لذا تعلموا أن يخفوا خطاياهم التى لم تكن جميلة قط .. وسرعان ما أصبح الكتمان عادة ..

فقط تقدر النوافذ فى المنازل أن تخبرنا عما حدث هنا فى قديم الزمن ، وما كانت لتثرثر كثيراً ؛ لأنه ما من شيء يغيرها بالتخلص من النعاس الذى يساعدها على النسيان .. أحياناً يخطر للمرء أنه من الرحمة أن تدمر هذه المنازل ؛ لأنها تحلم بالكوابيس طيلة الوقت ..

عرفت هذا وأكثر فى عصر يوم من أيام نوفمبر ، وتحت مطر غزير جعلنى أشتهى الاحتماء تحت أى سقف .. كنت أسافر مع قوم من وادى (مسكاتون) ، أدرس أجناس القوم هنا .. وبحماسة اتخذت من دراجة وسيلة للسفر ، وهاتذا الآن فى طريق مهجور ، هو الوحيد الذى يقودنى إلى (آرخام) .

كانت العاصفة شديدة ولا ملجأ هناك .. إلا البيت الخشبي الكئيب ، الذى تلمع نافذته بين أوراق الأشجار الغليظة ، عند سفح التل الصخرى .. إن الأماكن الطيبة الودود لا تحدى فى المسافرين بهذا الإصرار ، وكنت قد سمعت فى بحثى أساطير قرن كامل ، مما جعلنى أتوجس من مكان كهذا .. لكن الظروف كانت قاهرة إلى حد أنسى لم أتردد فى أن أرفع دراجتى عبر المنحدر ، نحو الباب الذى بدا موحياً غامضاً ..

وكنت قد افترضت فى البدء أن المنزل مهجور ، لكنى نظرت إلى الأرض التى أمشى عليها .. حقاً كقت الأعشاب نامية ، لكن حالتها كانت أفضل من أن

توحي بقفر تام .. لهذا لم أفتح الباب ، لكنى قرعته
شاعراً برجفة لا يمكن وصفها .. ولاحظت أن
النوافذ لامعة غير مهشمة ، مما يعنى أن المنزل
مأهول ، برغم أنه لا يلقى أية عناية .. لم تلق
قرعاتي إجابة ، فجريت المزلاج الصدى ، فوجدت أن
الباب غير موصل ..

بالداخل كان المدخل مغطى بدهان تماقظ أكثره ..
وشممت رائحة خفيفة لكنها كريهة بشكل خاص ..
حملت دراجتي ودخلت .. وأرحتها على الجدار ، ثم
فتحت الباب على يساري .. بدا لي أن هذه غرفة
جلوس ، ذات سقف واطى مضاءة بضوء خافت من
نافذتين ، ومفروشة بأقل وأبسط أثاث .. كانت بها
منضدة ومقاعد ، وبعض كتب لم أستطع قراءة
عناوينها في الضوء الخافت .. لكن ما أثار انتباهي
بحق هو الطابع العتيق الكامل لهذه الغرفة .. لقد
بحثت في كل ركن فلم أر أثراً واحداً ، يمكن أن يمت
لعصر ما بعد الحرب الأهلية الأمريكية . يمكن أن
يعد هذا المكان جنة لهواة جمع العبايات .. لولا ما في
الجو من شيء مقيت .. شيء يوحي بأسرار يحسن
أن تنسى ..

كان هناك كتاب على المنضدة .. كتاب عتيق جداً
إلى حد أنني اتدهشت لرؤيته خارج المتاحف .. كان
مجلداً بالجلد مع جوانب معدنية ، وكان في حالة
معتازة يصعب أن تراها في منزل كهذا ..

فتحت الصفحة الأولى فزددت دهشتي .. لأنه
كان وصف (بيجافيتا) لمنطقة (الكونغو) ، مكتوباً
باللاتينية وطبع في ألمانيا عام 1589 .. أثار هذا
دهشتي ، ورحت أطلع الصفحات منبهراً .. كانت به
رسوم تمثل الزوج بطريقة خيالية ، ترسمهم
بملاح أوروبية وجلود بيضاء .. هنا حدث شيء زاد
من توتر أعصابي وشعوري بعدم الراحة .. إنها تلك
الطريقة التي ظل المجد كلما سقط مني ، يفتح نفسه
على الصورة رقم 12 ، التي تمثل مشهداً شنيعاً لمتجر
جزار من أكلة لحوم البشر (الأنزيك) .. خجلت من
نفسى لحساسيتي ، لكنى لم أحب الصورة قط ،
خاصة مع الفقرة التي تصف تحتها عادات الأكل
لدى (الأنزيك) ..

كنت فأمل باقى الكتب ، ومنها الإنجيل ، وكتاب
(تقدم الحاج) ، و حين تنأهى إلى صوت
خطوات لا يمكن أن تخطئه ، تتحرك فوق رأسى ..
كأنما نائم قد صحا أخيراً بعد نعاس طيب .. صوت
الخطوات تهبط الدرج ببطء .. كانت خطوات ثقيلة
لم أحبها ، خاصة مع ما بدا فيها من حذر ..

كنت عند دخولى قد أغلقت الباب خلفى ، والآن
أسمع خطوات القادم فى المدخل ، كأنما يتفحص
درجتى هناك .. ثم بعد لحظة ظهر عند فرجة الباب
شكل ، لم يمنعنى من إطلاق صيحة دهشة لرؤيته
إلا تربيتى الحسنة .. عجوز ذو لحية بيضاء له
سحنة تجمع بين الاحترام والعجب .. لم يزد طوله
على ستة أقدام وكان قوى البنية ، برغم ما يوحى
به من فقر وشيخوخة .. عيناه الزرقاوان برغم أن
الدم يخالط لونهما ، بدنا مخلصتين نفاذتين .. لكن
هندامه الفظيع وقذارته جعلنا منظره منفراً برغم
وجهه .. أما ما كان يلبس بالضبط ، فهذا شئ
لا أستطيع الإمساك به ..

دعنى إلى الجلوس على مقعد ، ثم بدأ يتكلم
بصوت واهن متعب ، وكانت لفته غريبة جداً ، هى
نموذج للهجة الشمال التى حسبتها انقرضت ..
قال لى :

- « اتزنقت فى المطر ؟ هه ؟ كويس إنتك كنت
جنب البيت ، وفكرت تيجى .. أنا كنت نايم وسمعى
ما بقاش زى زمان .. مسافر ليه ؟ أنا بقى لى كتير
ما باشوفش ناس على السكة دى ، من ساعة ما مشيت
عربة (أرخام) .. »

قلت له إتنى ذاهب إلى (أرخام) ، واعتذرت
لاقتحامى بيته بهذه الكيفية .. لكنه قال :

- « كويس إتنى شفتك .. الوجوه الجديدة قليلة
هنا .. وما فيش حاجة تسلينى .. إنت من المدينة ..
مشن كده ؟ أنا بعرف راجل المدينة لما أشوفه .. »

كان بحق رجلاً لطيف المعشر ، لكن له طباعاً
غريبة .. ولعدة دقائق راح يثرثر بمرح ، حتى عن
لى أن أسأله كيف حصل على كتاب مثل « مملكة
الكونغو » - (بجافيتا) . لحسن الحظ لم يضايقه
السؤال وأجاب بحرية :

- « آه .. الكتاب الإفريقي؟ كابتن (إبنزر هولت) بادلتني بيه سنة 68 بعدها مات فى الحرب .. »

شئ ما فى اسم (إبنزر هولت) جعلنى أنظر بحدة .. لقد قابلت الاسم فى أثناء دراساتى عن الأجناس .. وخطر لى أن أسأل مضيفى أن يعاوننى فيما أقوم به .. وانتظرت حتى ينهى الكلام ..

« (إبنزر هولت) كان تاجراً من (سالم) .. وكان بيلم حاجات غريبة من كل المواشى .. اشترى الكتاب ده من (لندن) - وبحث فى جيوبه عن عويناته ، ثم أخرج عوينات عتيقة غريبة الشكل ، وراح يقلب الكتاب على المنضدة فى حب - « (إبنزر) كان يمكنه قراءة القليل من اللاتينية أما أنا فلا .. هل يمكنك؟ »

قرأت له فقرة من البداية قدر ما استطعت .. ولو أخطأت قلم يكن هو على هذا القدر من الثقافة ، وكان مسروراً لفكرة أن يسمع أحداً يحكى له بالإنجليزية .. كان سانجاً كطفل ، وسرنى أن ذعرى الأول فارقتى ..

- « غريبة إن الصور بتخليك تفكر فى حاجات عمرك ما فكرت فيها .. لكن أنا حاوريك أجمل حصة فى الكتاب .. »

والتمعت عيناه وازداد صوته غلظة .. ومد يده يفتح الكتاب ، فإذا به كالعادة يفتح على الصورة رقم 12 التى تظهر محل الجزار لدى (الأنزيك) .. عاد شعورى بعدم الارتياح غير أننى لم أظهره .. لكن مضيفى بدا متمتعاً بالصورة بالقدر الذى كرهتها به ..

- « كنت دايمًا أقرأ عن دبح الناس ، لكن عمري ما شفت المنظر .. أهوه المنظر قدامك ! مش بالذمة حاجة تقشع ؟ بيتهيألى دى خطينة .. لكن احنا كلنا خطاة على كل حال .. شوف ده ! الجزار قطع راسه ودراعه ، وهم الاتنين على القرمة جنب بعض .. حاجة تخلى جلدك يقشع .. »

كان يتحدث فى شغف وانبهار ، جعلنا حالتى غير قابلة للوصف .. وأدرت أننى أكره هذا الرجل من كل قلبى .. إنه مجنون أو شاذ الطباع بالتأكيد .. والآن كان يهمس بصوت حاد كأنه الصراخ فارتجفت :

- «زى ما قلت لك .. الصور بتخليك تفكر فى حاجات غريبة .. مرة جربت حاجة مسلية .. ما تخافش يا بنى .. كل اللي أنا عملته هو إن أنا كنت يابص للصورة قبل ما دبح الخرفان ..»

كان صوته ينخفض إلى حد أنه صار عسير السماع ، ومن بعيد كنت أسمع صوت هدير الرعد منذراً بعاصفة قادمة .. لكن الهامس لم يلحظ شيئاً من هذا ..

- «قتل الخرفان كان ممتع .. لكن ما كاتش بيرضينى قوى .. الصورة دى خلتنى جعان لحاجة ماقدرش أرببها أو أشتريها .. أقعد ! أنا ما عملتش حاجة .. كل الموضوع اتى كنت بافكر فى الموضوع .. يقولوا إن اللحمه بتجدد الدم .. فأتا قلت لنفسي ممكن اللبني آدم يعيش كثير لو عمل حاجة كده .. ونويت أجرب»

لكن الشيخ الهامس لم يستكمل كلامه .. والسبب هو فكرة بسيطة جداً ، إلا أنها مصحوبة بحادث غير معتاد ..

كان الكتاب بيننا مفتوحاً على الصورة المريعة ، فلم يكد الرجل يقول : «ونويت أجرب» ، حتى دوى صوت طرطشة ، وظهر شيء على الورق المصفر .. فكرت فى أن الماء يسيل من ثقب فى السقف ، لكن المطر ليس أحمر .. كاتت هناك لطفة حمراء تنتشر على الصورة فوق محل الجزار ، تعطى مسحة مفرعة للمشهد .. رأها الرجل فكف عن الهمس ونظر سريعاً إلى السقف .. حذوت حذوه ونظرت للسقف لأرى بقعة حمراء تنتشر ببطء هناك .. لم أصرخ أو أتحرك .. فقط أغلقت عيني ..

وبعد لحظة جاء هدير الرعد الجبار ، وأطاح بذلك البيت المشنوم الحافل بأسرار لا يمكن النطق بها ، وجلب النسيان وهو الشيء الوحيد الذى أبقى على عقلى .

1919

الفصل الأول

مقدمة ونتيجة

1

من مصحة عقلية خاصة قرب (بروفيننس) فى (رود آيلاند) ، اختلف مؤخرًا شخص متفرد يحمل اسم (تشارلز دكستر وارد) ، تم وضعه تحت الحجز برغم رفض أبيه المحتضر ، الذى شهد تبديل ابنه من مجرد الشنوذ إلى جنون كامل ، قد يهدد بالقتل .. ويعترف الأطباء بحيرتهم إزاء هذه الحالة .. فمن البداية بدا للمريض أكبر سنا مما توحى به سنو عمره الستة والعشرون . إن الخلل العقلى - هذا صحيح - يجعل المرء يشيخ سريعًا .. لكن وجه هذا الفتى كان يحمل طابعًا لا تراه إلا على وجوه الشيوخ .. ثانيًا كان مرضه العضوى يظهر غرابة لا يوازىها شىء طبيًا .. لقد فقد صوته ، ولم يعد نبضه يتناسب مع تنفسه ، وهضمه صار بطيئًا وأقل من المعدل .. لقد اختلفت

حالة

(*) تشارلز دكستر وارد



(*) ترجمة ملونة بالتصريف ، لأن القصة الأصلية مفرطة الطول .

وبالغة الشناعة !

وحمة تشبه الزيتون كانت على ردفه الأيمن ، بينما ظهرت شامة سوداء على صدره ، لم يكن لها أثر من قبل ..

نفسياً كذلك ؛ كان (تشارلز دكستر) متفرداً .. لم يكن جنونه من أى نوع معروف ، برغم أنه يمتلك طاقة عقلية كان بوسعها أن تصنع منه عبقرياً .. والحقيقة أن (وارد) كان أكاديمياً ودارساً للأثار ، وقد ازدادت حدة ذكائه بعدما أصيب عقله .. كما اتضح من الفحوص التى قام بها الأطباء المنتدبون ..

كان من الصعب نظراً لذكاء الشاب ، أن يتم الحصول على موافقة المحكمة على دخوله المستشفى .. فلم يتم هذا إلا بناء على شهادة البعض ، والثغرات التى اتضحت فى معلوماته العامة - وهى شىء غير الذكاء - وتم وضعه فى الحجز .. وحتى وقت فراره كان قارئاً نهماً ، ومحدثاً ممتعاً بقدر ما يسمح به صوته الواهن .. وقد تنبأ ملاحظوه بأنه لن يمر وقت طويل قبل أن يظفر بإطلاق سراحه من الحجز ..

لم يكن أحد قلقاً بصدد حرية الفتى ، إلا د. (ويليت) طبيب الأسرة ، الذى جاء بالفتى إلى العالم ، وراقب نموه العقلى والبدنى .. فقد كان يعرف أشياء مروعة لم يجسر على إعلانها لزملائه فى المهنة ..

والحقيقة أن د. (ويليت) لغز محير بدوره .. فهو آخر من تحدث إلى الفتى ، وغادره وعلى وجهه مزيج من الرعب والرضا ، وقد تذكر الكثيرون هذا بعدما فر الفتى ، بعد ثلاث ساعات من اللقاء ..

الهرب نفسه غريب بحق .. ولم يكن لدى د. (ويليت) ما يعلنه بعده .. لكنه بدأ أكثر راحة ورضاً .. ويبدو أن لديه ما يقول لو لم يسخر منه الآخرون .. إنه قد وجد الفتى فى غرفته ، لكن من جاءوا بعد ذلك فرعوا الباب عبثاً .. ولما فتحوه لم يجدوا إلا نسيم إبريل يطير سحابة من الغبار الرمادى المزرق .. صحيح أن الكلاب نبحت قليلاً ليلتها ، لكن ذلك حدث بينما الطبيب مازال هناك ، ولم تنبج بعد ذلك أبداً ..

لم يكن لدى (ويليت) ما يقول ، وكذلك الأب (وارد) العجوز .. وحتى هذه اللحظة لم يجد أحد أثرًا للمجنون الهارب ..

كان (وارد) مولعًا بالآثار من صغره ، وبالتأكد اكتسب هذا الحب من رفات الماضى الموجودة فى كل ركن من دار أبويه ، فى شارع (بروسبكت) عند ذروة التل .. فلما نما تمت معه هذه الهواية الغريبة واحتلت كل جوانب اهتمامه .. هذه النقطة مهمة ؛ لأن الفتى - حين استجوبه الأطباء - كان جاهلاً تمامًا بالأحداث المعاصرة ، لكنه بدا كأنما يعيش فى الماضى ، وكأنما تنتقل إلى أزمنة قديمة عن طريق تنويم مغناطيسى مجهول .. من الغريب هنا أن الفتى بدا كأنما فقد كل اهتمامه بعلم الآثار ، ويبدو أن هذا بفعل الألفة والتعود .. فلم يكن يهتم إلا بتعلم كل شيء عن عالمنا المعاصر ..

حاول بالطبع أن يخفى هذا الحذف الذى جرى فى ذاكرته ، لكن كل من رآه عرف أن برنامجه الاطلاعى كانت تمليه عليه حاجته إلى معرفة كل شيء عن

القرن العشرين ، والخلفيات الثقافية والعلمية له .. وهو شيء غريب لأنه ولد عام 1902 وتعلم فى مدارسنا المعاصرة ..

ولقد تساءل الأطباء عن كيف ينوى الهارب أن يتصرف فى عالمنا المعقد هذا ، ثم أدركوا أنه لا بد مختبئ فى مكان آمن إلى أن يصل قدرًا كافيًا من العلم يسمح له بالتنقل ..

كانت بداية جنون (وارد) موضع جدل بين الأطباء .. د. (لايمان) - وهو حجة من (بوستون) - يقول إنه حدث بين عامى 1919 و1920 فى أثناء عام الفتى الأخير فى مدرسة (موزس براون) ، حين كف عن دراسة الماضى لبدأ دراسة المجهول .. ورفض أن يتخرج كى يتفرغ لدراسة ما هو أهم .. كان يقضى الوقت يبحث عن قبر معين تم حفره عام 1771 ، ويخص جدًا له اسمه (جوزيف كوروين) .. لا ينكر أحد أن شتاءى 1919 و1920 شهدا تغييرًا عظيمًا فى (وارد) ..

دعك من الأشياء التي استنتجها الطبيب من
معادلتين وجددهما ، وهي أشياء تبرهن على أصالة
هذه الأوراق ، وأنها ولدت من المعرفة البشرية ..

من جهته يخالف د. (ويليت) هذا .. ويعتمد
على معرفته الوثيقة بالمريض ، وأشياء معينة
اكتشفها قرب النهاية .. ويرى أن العامين 1919 و1920
يبدوان كبداية انحلال استمر حتى صورته الرهيبة
عام 1928 .. لكن الفتى لم يكن قط متماسكاً نفسياً ،
وكانت استجاباته غريبة لما يحدث من حوله .. إن
التغير الحقيقي - كما يرى - حدث حين تم استخراج
أوراق (كوروين) وصورته .. بعد رحلة قام بها
الفتى لأماكن غريبة أجنبية ..

في هذا الوقت - يؤكد (ويليت) بحدة - بدأت
التغيرات الكابوسية لدى (وارد) .. لقد رأى عاملان
أوراق (كوروين) حين وجددها الفتى .. بل إن الفتى
عرض هذه الأوراق على د. (ويليت) ومعها صفحة
من مذكرات (كوروين) .. ثم هناك موضوع خطابي
(لورن) و(هتشنسون) ومشكلة خط (كوروين) ..
والأوراق التي وجدوها بحروف من القرون
الوسطى ، في جيب (ويليت) بعدما استعاد رشده ..

يجب على المرء أن ينظر إلى ماضى (تشارلز وارد) كأنه جزء من الآثار التى يهوى اقتناءها ودراستها .. فى خريف 1918 حين ساد الحماس للتدريب العسكرى ، بدأ دراسته فى مدرسة (موزس براون) ، فقد فتنه المبنى العتيق الذى شيد عام 1819 ، وكانت نشاطاته الاجتماعية محدودة .. كان يقضى الوقت فى المكتبة العامة ، ومجمع التاريخ ، ومكتبة (جون هاى) فى الجامعة .. ويمكن للمرأ أن يراه كما كان فى تلك الأيام ؛ طويلًا أشقر ذا عينين متاملتين وثياب غير مهندمة نوعًا .. يعطى انطباعًا بالارتباك غير الضار أكثر مما يعطى انطباعًا بالجادبية ..

كان مجنونًا بالتاريخ منذ طفولته ، وكانت البلدة تحوى الكثير من الآثار .. كان الفتى يقضى الساعات يجوب المدينة ، ويستكشف كل شىء ، ولا بد أن هذه الجولات كانت هى الشىء الذى جعل عقله يتسحب من الحاضر ليعيش فى دنيا الواقع ..

كان د. (ويليت) واثقًا من أن اهتمام (وارد) بالآثار - حتى الشتاء الكئيب - كان خاليًا من أى أثر للمرض .. لم تكن المقابر تمثل له أكثر من عرافتها وأهميتها التاريخية .. ولم يكن فى طباعه وحشية ولا قسوة .. ثم فجأة حدثت مضاعفات غريبة للنصر أحرزه فى دراسة الأنساب منذ عام ، حين اكتشف بين أسلافه رجلًا معمرًا اسمه (جوزيف كوروين) ، الذى جاء من (سالام) فى مارس 1692 ، والذى كانت قصص كثيرة تحكى همسًا عنه ..

كان جد جد (وارد) قد تزوج فى عام 1759 امرأة تدعى (آن تلينجاست) حفيدة الكابتن (جيمس تلينجاست) .. وفى عام 1918 بينما هو - (وارد) - يفحص سجلات المدينة ، وجد أنه فى عام 1772 قامت السيدة (إليزا كوروين) أرملة (جوزيف كوروين) - هى وابنتها - باسترجاع اسمها قبل الزواج وهو (تلينجاست) .. «لأن اسم زوجها صار وصمة لما عرف عنه بعد وفاته .. وهى وصمة لا يمكن لزوجة مخلصنة أن تصدقها على كل حال ،

ما لم يتم إثباتها بما يفوق أى شك .. « الملحوظة الأخيرة كانت بين صفتين تم لصقهما بعناية بالغة ، ولم يجدها (وارد) إلا بعد مراجعة مرهقة لأرقام الصفحات ..

لقد عرف أنه وجد أخيراً جداً كبيراً كبيراً .. وكان يعرف القليل جداً عن الرجل ؛ لأن كل شيء عنه كان مخفياً ، كأنما هناك مؤامرة لجعل الرجل يعيش فى التسيان ..

قبل هذا الكشف كان (وارد) قانعاً بأن يتجاهل خيالاته بصدد (جوزيف كوروين) العجوز .. لكنه ، وقد أدرك قرابته للرجل ، راح يصطاد المعلومات بشكل منظم قدر ما استطاع .. وفى بحثه المتحمس نجح أكثر بكثير من كل توقعاته .. لأن الخطابات القديمة والمذكرات والمجلدات المغطاة بنسيج العناكب ، والتي لم يجد السابقون أهمية لتدميرها ؛ كانت ذات نفع بالغ له .. وجاء ضوء مهم من مكان بعيد مثل (نيويورك) .. حيث كانت بعض مراسلات (رود آيلاند) مخزونة فى أحد المتاحف ..

الشيء ذو الأهمية البالغة ، والذي - فى رأى د. (ويليت) - يشكل حجر الزاوية للمشكلة ، هو الأشياء التى وجدوها تحت ألواح بيت مهدم عام 1919 فى (أولنى كورت) .. كانت هذه الأشياء دون شك هى ما فتح تلك الأفاق السوداء ، والتي كانت نهايتها أعمق من أية حفرة ..

الفصل الثاني الأسلاف والرهب

1

كان (جوزيف كوروين) - كما جسده الأساطير التي سمعها وكشف عنها (وارد) - شخصاً مفزعاً غامضاً .. لقد فر من (سالم) إلى (بروفيدنس) المأوى الدائم لغرباء الأقطار . لأنه كان يخشى اتهامه بالسحر^(*) . كان رجلاً شاحباً في الثلاثين من عمره .. سرعان ما اشترى بيتاً عند ناصية شارع (أولسي) ، فوق هضبة (ستامبر) غربي الشارع الرئيسي بالمدينة . وفي عام 1761 استبدل به بيتاً أكبر في المكان ذاته .. وراح يمارس التجارة ، وكانت له علاقة ما بالبحر وسفينة ..

(*) سالم أو سليم هي المدينة الأمريكية التي اشتهرت بمحاكمات الساحرات وحرقهن ، وكان يكفي أن يكون للمرء نشاط غموض من أي نوع كي يعدم ..

أول الأشياء الغريبة بصدد (كوروين) كانت أنه لم يشخ قط .. لقد ظل دوماً يحتفظ بمنظر رجل في الثلاثين من العمر .. وبعد عقود بدأ الناس يلاحظون هذا ، لكنه كان يقول دائماً إنه جاء من أصل قوى ، وإنه يعيش حياة بسيطة لم ترهق جسده . لم يكن ثرثاراً وكان أميل إلى العزلة ، لكن الناس قالوا إن سبب شبابه الدائم له علاقة ما بالكيمياء التي يقوم بغليها طيلة الوقت ، والأضواء التي تظل ساهرة خلف نوافذه طيلة الليل .. وحين جاء (جابينز) العجوز ليفتح صيدلية في (جريت بريدج) ، فإن الناس راحوا يتكلمون عن العقاقير الغريبة التي اشترها (كوروين) منه ، وتلك التي اشترها من (لندن) أو من (الإديز) ..

ثمة أسباب أخرى جعلت الناس يتساءلون .. ثم يشكون .. ثم يخافون الرجل كأنه طاعون .. مثلاً ميله الشديد إلى المقابر ، التي كان يرى فيها كثيراً ، وإن لم ير أحد منه سلوكاً يوحي بأنه غول ..

كانت لديه مزرعة يعيش فيها مع خدامين
هنديين من هنود (النراجانست) .. الزوج أصم
وملئء بالنوب ، والزوجة منفرة السحنة .. وكان
الجيران يمتكون أغرب القصص عن هذه
المزرعة .. عن صرخات وأصوات عواء في الليل ..
وعن ضخامة القطيع في المزرعة أكثر مما يحتاج
إليه رجل عجوز وحيد وخداماه .. وعن كميات
الطعام التي تدخل المزرعة لأربعة أفراد فقط ..

بالنسبة للطبقة الراقية أيضا كان من الواضح أن
(كوروين) رجل كريم المنشأ ، عرف العالم ، ومن
الواضح رقى إنجليزيته ، وإمامه ببعض الثقافة
الشرقية ، لكنه - لسبب لم يفهموه - كان لا يهوى
المجتمعات ..

في عام 1746 جاء مستر (جون ميريت) السيد
الإنجليزي العجوز ، وهو رجل طيب المنشأ كريم
المحند ، إلى (نيوبورت) وعاش حياة مريحة
محترمة ، فلما سمع (كوروين) أن لديه أفضل
مكتبة في (بروفيدنس) ، قام بزيارته واستقبله

الأول بترحاب شديد . فلما رأى (كوروين) أن
مكتبة مضيفه ذخيرة بروائع الفلسفة والأدب ، قام
بدعوته إلى مزرعته ليرى مكتبته ، وذهب إلى هناك
في عربة مستر (ميريت) .. اعترف مستر
(ميريت) فيما بعد بأنه لم ير ما يريب في
المزرعة ، لكن علون كتب السحر والتنجيم والفلك
التي رآها ، كانت كفيلا بأن تثير لديه نفورا شديدا ..
وكانت هناك كتب يهودية سحرية كثيرة ، ومنها كتب
(الكايالا) - السحر الأسود اليهودي - كما أنه وجد
كتاب (نيكرونوميكون) الممنوع تداوله ، والذي
كتبه (عبد الله الحظرد) ، والذي سمع عنه من
أعوام حين اتكشف أمر طقوس غريبة ، تمارس في
قرية صيد اسمها (كينجزبورت) على ساحل
(ماساتشوستس) ..

لكن أسوأ الأثياع عن (جوزيف كوروين) كانت
تقال عند المرفأ . إن البحارة قوم يؤمنون بالخرافات ،
وقد كان موظفو (كوروين) وقباطنة سفنه أنفسهم
يمقتونه ويهابونه .. أما بحارته فكانوا هجاء من

جزر المارتينيك وهافاتا وسانت أوستاتيوس ..
وكانت الطريقة التي يتبدلون بها أو يختفى بعضهم ،
لمن الأشياء التي أثار الدهشة والحيرة ..

وفي عام 1769 صار (جوزيف كوروين) منبوذاً
فعلياً ، متهماً بكل ألوان الأحلاف الشيطانية ، التي
كان أكثر ما يخيف فيها هو أن أحداً لا يعرف عنها
بالضبط ، أو يستطيع البرهنة عليها .. وكانت آخر
قشة هي موضوع الجنود المفقودين عام 1758 .. لقد
عسكر فيلقان ملكيان من الجنود في (بروفينس) ،
في طريقهم إلى (نيوفرانس) .. سرت إشاعات
كثيرة أن (كوروين) اعتاد الكلام مع الغرباء نوى
المعاطف الحمراء ، وبدأ كثير منهم يختفى .. مما
ذكر الناس ببجاعة (كوروين) الذين يختفون بشكل
لا يمكن فهمه ..

في الوقت ذاته كانت حالته المادية تزدهر .. كان
يحتكر تجارة القفل والقرفة والملح الإنجليزي في
البلدة . وكان يملك أية شركة تتعامل مع النحاس أو
الأصواف أو أية بضائع إنجليزية .. وصار من أهم
مصدرى الزمن ..

وبرغم كونه منبوذاً ، فإنه شارك في كثير من
الأعمال العامة والخيرية ، كأنما يطرد الظل الذي
ألقي به في العزلة ، ولن يلبث أن يدمر ثروته ما لم
يجد حلاً سريعاً .

إن رؤية رجل كهذا يبدو كأنه فى منتصف العمر ، لكنه فى الحقيقة لا يقل عن قرن عمراً ، وهو يحاول الخروج من سحابة الشك والخوف التى تحيط به .. كان مشهداً درامياً يدعو إلى الشفقة والنفور معاً . لقد بدأ يقتل من كميات الطعام التى تدخل مزرعته ، ومن زيارته للمقابر ، وصارت الأصوات المنفرة الصادرة من مزرعته أقل .. لكن تأثير هذا كان بسيطاً ؛ لأن حقيقة شبابه الدائم كانت كفيلة بجعل الناس ينفرون منه أبداً ..

وكان من الواضح أن تجاربه - أيًا كانت - تحتاج إلى ثروة هائلة لتحقيقها ، وكانت أعماله هنا تدر له هذه الثروة ، بالتالى لم يكن على استعداد للبدء من جديد فى مكان جديد .. ووجد أن عليه أن يحسن علاقاته مع القوم فى (بروفيننس) ؛ حتى لا يصمتوا حين يرونه ، أو يختلقوا الأعذار للتصرف ..

هنا وجد الفكرة المناسبة .. كان يعيش حياة رهبنة كاملة ، وخطر له الآن أن يتزوج .. سيدة

ذات وضع اجتماعى يكفل له أن يجد مكانة محترمة فى المجتمع .. وكان بالطبع يعرف أن الناس يلقونه بذعر وتهيب ، لذا راح يبحث عن زوجة يمكنه أن يمارس بعض الضغط على أبويها ..

هنا ضيق البحث إلى بيت أحد قباطنته الطيبين .. إنها سيدة كريمة النسب اسمها (دوتى تلتجاست) لها ابنة تدعى (إليزا) .. وقد وافق أبوها بعد مقابلة مروعة أن يمنح ابنته للرجل ..

فى هذا الوقت كان عمر (إليزا تلتجاست) ثمانية عشر عاماً ، وكانت أمها متوفاة .. لا يد أنها تجاللت مع أبيها بصدد الزواج من (كوروين) وكانت محاورات مؤلمة حتماً . لكن خطبتها إلى الشاب (إلرا وين) فسخت ، وعقد زفافها فى 7 مارس 1763 فى كنيسة المعمدانية .. وفى حضرة أكثر التجمعات تميزاً فى المدينة ..

كان البيت الجديد فى (أولنى كورت) ، ولم تشب الحياة فيه أية أمور غريبة ، لكن (كوروين) كان كثير التغيب فى مزرعته فى (بوتاكست) . ولم يكن

في عام 1766 بدأت مخايل غريبة تظهر على (كوروين) .. لقد كف عن حالة الترقب التي يمر بها، وبدا عليه نوع من الرضا والشعور بالنصر .. مما جعل القوم يتهامون في البلدة .. والغريب هنا أن الناس لاحظوا أنه يقول أشياء ، ما كان يوسع أحد أن يعرفها سوى أجدادهم ..

ازدادت نشاطاته السرية ، وبدأ يلقي بالمزيد من مسئوليات سفنه على عاتق بحارته ، الذين كانت تربطه بهم أواصر قوية من الخوف والرغبة .. بدأ يهجر تجارة العبيد زاعماً أن مكاسيها لم تعد مجزية . وكف عن رحلاته البحرية المريبة ليلاً ، وهي رحلات كان القوم يبرزونها بتوتر ظروف التجارة والضرائب في هذا الوقت .. كان التهريب يتم على قدم وساق . لكن (إزرا ويدن) الذي لم تغفل عينيه عن المراقبة ، كان يعرف أن مايتحاشاه (كوروين) ليس هو سفن صاحب الجلالة ملك

هناك من ظل يحتفظ بكراميته لـ (كوروين) الآن إلا ضابط البحرية الشاب ، الذي فسخت خطبته إلى (إيزا تلتنجاست) ، فقد أقسم على الانتقام صراحة ..

في السابع من مارس عام 1765 ، ولدت طفلة (كوروين) الوحيدة (آن) .. وتم تعميدها في كنيسة الملك التي انتسب إليها الزوجان الآن .. وقد لاحظ (دكستر وارد) الشاب أن سجلات الزواج والطفلة قد تم محوها من أكثر ملفات البلدة .. لكنه وجدها بعد بحث مضمّن ساهم بالتأكد في حالة الجنون التي وصل إليها في النهاية ..

في الوقت ذاته كان الفتى (إزرا ويدن) لا يكل من تكرار أن (كوروين) بالتأكيد يمارس أعمالاً شيطانية ما ، وكان يراقبه بعناية من بعيد .. إلى درجة أن الكلاب عضته ذات مرة وهو يتلصص على المزرعة ..

بريطانيا .. وإذ وجد أن مهامه البحرية تعوقه عن المراقبة الصيقة ، فقد استأجر صديقاً له يدعى (إليغازر) كي يتولى المراقبة في غيابه ..

لا يعرف أحد ما رآه الرجلان ، لكنه لم يكن محبباً ، وكل ما يمكن معرفته هو ما دونه (إليغازر) في مفكرة لديه .. ومنه نفهم أن المزرعة كانت مجرد غطاء لعمل مخيف لا يوصف .. ومن المفهوم أن الرجلين استنتجا أن هناك عدداً هائلاً من الممرات والأفاق تحت المزرعة ، بها عدد لا بأس به من القوم ، بالإضافة إلى الهندي العجوز وامرأته .. بدا لهما أن هناك عدداً ما من الأسرى - من جنسيات مختلفة - والحراس و(كروين) الذي كان يفهم ويتكلم كل هذه اللغات ..

قال (إليغازر) في مفكرته إنه كان يسمع أطرافاً من محادثات بلغات لها طابع الاستجواب ، ولكنه كان بحاراً فقد كان يفهم بعض تلك اللغات .. وإنه سمع على سبيل المثال شخصاً غاضباً يتم استجوابه بالفرنسية ، عن مذبحة الأمير الأسود في (ليموج)

عام 1370 ، ويبدو أن المستنطق لم يظفر بإجابة ، من ثم لجأ إلى أساليب عنيفة ؛ لأن صرخة مروعة دوت من هناك ..

فيما بعد يبدو أن الرجلين وجدا أشياء غريبة لاتسرع الناظرين في مياه النهر الذي يجري خلف المزرعة .. إن النهر يمر على مقابر هنود حمر قديمة ، ومن الممكن أن تكون هذه المخلفات منهما ، لكنهما لسبب ما لم يشعرأ أن هذه هي الحقيقة ..

كان العام 1770 - بينما الرجلان مستمران في التجسس عاجزان عن اتخاذ قرار - حين وقعت حادثة (فورتاليزا) . كانت دوريات سفن الجمارك تفتش بعناية أية سفن غريبة ، بعد حادث احتراق السفينة (ليبرتي) في (نيويورك)^(*) .. وقد قامت سفينة صاحب الجلالة (سيجنت) بتفتيش سفينة الشحن الأسبانية (فورتاليزا) التي يقودها القبطان

(*) تدور القصة في فترة صاعدة من التاريخ ، حين كانت للسفريات البريطانية تحارول الاتصال عن بريطانيا ، لتكون ما نعرفه اليوم باسم الولايات المتحدة . وكانت بريطانيا تخرس حرايبها على تجارة السفن ، وسفن صاحب الجلالة تفتش كل السفن الداخلة والخارجة بحثاً عن بضائع مهربة ..

(مانويل آردا) ، وكانت قادمة من مصر متجهة إلى (بروفينس) .. وبتفتيشها تكشف الحقيقة الغريبة أن كل حمولتها كانت موميאות فرعونية .. لم يدر البريطانيون ما يعملون ؛ فالسفينة لا تحمل بضائع مهربة ، لكن دخولها كان غير قانوني ، ومن ثم أخذوا سبيلها مع منعها من الرسو فتي (رود آيلاند) ..

ولم يحتج سكان البلدة حين عرفوا بالقصة ، إلى أي جهد كي يربطوا بين محتوى هذه السفينة وبين (كوروين) ، الذى اشتهر بولعه بالمقابر وتجاربه الكيميائية الغامضة ..

فى خريف 1770 قرر (ويدن) أن الوقت قد حان ليعرف الآخرون بعض ما عرفه ، فلديه حقائق عديدة يمكن ربطها ، ولديه شاهد عيان ينفى عنه التهمة المحتملة ، أن الغيرة هى ما جعلته يزعم ذلك ..

وفى الطابق العلوى من الحانة ، راح الشابان يحكيان ما شهداه للكابتن (ماتيسون) ، وهو صديق

حميم له (ويدن) ، ثم إنه رجل ذو حيثة ونفوذ فى البلدة ، وكان ما حكياه غريباً صادماً للرجل ، لكنه كان يتوقع سراً غامضاً محيطاً به (كوروين) ، وقد أصغى لهما .. ثم قال إنه سيطلع بعضاً من عليه القوم راجحى للرأى على الموضوع ، لكنه حذرهما من أن يعرف الدهماء بالأمر حتى لا تكون فتنة ، ويعم الاضطراب ، وتتكرر مأساة حرق الساحرات فى (سالم) ..

ولم يتوقع الكابتن (ماتيسون) النتيجة العظيمة لإطلاعه الرجال على ما عرف .. صحيح أن اثنين سخرا من الأمر واعتبراه خيال شابين ، إلا أن الباقين جميعاً كانوا يؤمنون أن (كوروين) تهديد دائم للبلدة ، وما يقوم به شر لا يد من عمل شيء بصدده ..

وتملك القوم شيء كالخوف .. كانوا يعرفون فى قرارة أنفسهم ، أن (كوروين) شخص لا يجدى معه إبلاغ السلطات ولا جطه يترك المدينة .. لا بد من شيء أقوى وأكثر فعالية من هذا .. وحتى لو وافق المخلوق الشرير على الرحيل ، فليس هذا سوى نقل القاذورات من مكان ووضعها فى مكان آخر ..

كان للزمن زمن اللاقاتون .. وقد تحدى هؤلاء
القوم ملك بريطانيا ذاته ، فلن يعجزوا عن قهر
(كوروين) .. فلو اتضح أن الرجل مجنون يكلم
نفسه في مزرعته بصوت عال ، فسوف يوضع في
مصحة .. أما لو اتضح أن الأمر أخطر من هذا
فلا بد من قتله وقتل الرجال الذين معه ..

فبينما هذه المناقشات الخطرة تدور ، حدثت
مروع بلا تفسير ، لم يعد من سيرة للقوم غيره بعد
حنوته ..

قام القوم بعمل ترتيبات لاعتراض البريد القادم
إلى (كوروين) ، وقد وجدوا رسالة موجهة له من
(سالم) ، ممن يدعى (جدياه أورن) ، وقد جعلتهم
يغرقون في تفكير عميق ..

كان نص الرسالة كما قرأه (تشارلز دكستر)
فيما بعد هو :

«يسرنى أنك ما زلت تحصل على المادة القديمة
بطريقتك .. ولا أصعب مستر (هتشنسون) في
(سالم) قد حقق نتائج أفضل .. إن ما أرسلته لي

لم يعمل ، ربما لأن الكلمات التي كتبتها أنت أو
لفظتها أنا لم تكن سليمة ، أفهم جيداً أن الأجزاء
يجب أن تكون سليمة كلها ، لكن هذا عسير .. إنني
لا أملك براعتك في الكيمياء ، لكنني أذكرك بالأجلب
ما لا تقدر على إعادته .. وأذكرك ألا تخاطبني باسم
(سيمون) بل باسم (جدياه) .. إن في مجتمع كهذا
قد لا يعيش المرء كثيراً .. وأنت تعرف خطتي
للعودة باعتباري ابني .. إنني راغب في معرفة
ما تعلمه الزنجي من (سيلفاتوس كومسيديوس) تحت
أسوار روما ..»

كان هناك خطاب مريب آخر كتب بلغة أجنبية
مجهولة الحروف ، وقد وجد (وارد) تقليداً لها في
الوثائق ، وعرف من جامعة (براون) أنها الكتابة
الأمهرية أو الأثيوبية ..

لم تصل هذه الخطابات قط إلى (كوروين) ، لكن
اختفاء (جدياه أورن) من (سالم) بعدها ، يدلك
على أن القوم في (بروفيننس) اتخذوا خطوات
جادة ..

هكذا راح البحارة والعمال الأقوياء يجتمعون في الحانة ، ويرسمون الخطط للهجوم على المزرعة ، ومحو أي أثر لـ (كوروين) من البلدة .. ويبدو أن (كوروين) شعر بشيء من هذا ؛ لأنه صار يتواجد في المدينة أكثر من اللازم ، وعلى وجهه نظرة قلقة ..

4
تقول الوثائق إن جمعا من مائة رجل وقادتهم ، اجتمعوا في العاشرة من مساء يوم 12 إبريل 1770 .. كانوا ينتظرون قدوم (إزرا ويدن) الذي كان يقفو أثر (كوروين) ، ويخبرهم برحيل عريته نحو المزرعة .. وعندما سمعوا هدير العربة وهي تمضي على الجسر ، حملوا الحراب والبنادق العتيقة والغارات ، واتجهوا نحو المزرعة ..

وصلوا إلى مزرعة (فيرن) المجاورة بعد ساعة وربع ، حيث عرفوا أن (كوروين) قد بلغ مزرعته ، وأن ضوءاً غامضاً اللمع في السماء مرة ، ثم ساد الظلام كل النوافذ بعدها .. انقسم الرجال إلى مجموعات ؛ مجموعة من عشرين رجلاً تحرس الشاطئ ، وتتأكد من عدم وصول إمدادات لـ (كوروين) .. مجموعة أخرى تدور حول المزرعة ، وتفجر الباب الخشبي الكبير بالبارود .. المجموعة الثالثة تقوم بالانحسام وحصر المزرعة ..

وقضى الرجال الليل ينتظرون الإشارة ، وكان ذلك عند الفجر ، حين جاء رسول مغبر له عينان شريستان ورائحة غريبة كريهة ، وقال لمن معه أن يتفرقوا ، ولا يتساءلوا ثاقية عن أسرار من كان يدعى (جوزيف كوروين) .. شيء ما فى مشية الرجل جعلته غريباً بالنسبة لهم .. وبرغم أنه كان حاراً يعرفه الكثيرون ، فإن شيئاً ما قد تبدل فى روحه ، وقد تكرر هذا كثيراً كلما لا قوا واحداً آخر من رفقاتهم الذين دنوا أكثر من منطقة الرعب ؛ لأنه كان دائماً يكتسب أو يفقد شيئاً لا يمكن تحديده فى شخصيته .. لقد أصيب الجمع بهلع لا اسم له ، أو شك على إغلاق شفاههم .. وخرجت إشاعات قليلة جداً حول هذه الحملة ، إلا أن (تشارلز دكستر وارد) وجد فيما بعد بعض الوثائق فى مكتبة (نيولندن) ، كتبها آل (فيرن) الذين كان بوسعهم أن يروا المزرعة الملعونة بوضوح تام .. ويسمعوا نباح كلاب (كوروين) الغاضبة ..

لقد سمعوا الطلقة التى تعلن بدء الهجوم ، ثم رأوا نوراً هائلاً يخرج من المبنى الحجرى بالمزرعة ،

ثم صوت صراخ غريب مريع عبر عنه الكاتب بالحروف « وارررر ا وارررر ! » ، إلا أنه قال إنه ما من حروف تعبر عنها جيداً ، وإن أمه فقدت الوعي لدى سماعها .. بعد ساعة راحت الأرض تهتز بعنف حتى إن الشموع اهتزت على رف المدفأة .. ثم فاحت رائحة كبريت قوية .. من جديد عاد صوت طلقات الرصاص مع تلك الصرخة ، التى كانت أقرب إلى سعال أو غرغرة ، إلا أن طابعها المستمر جعلها تبدو للآذان كصرخة ..

ثم اندلع اللهب من المزرعة ، ودوت صرخات الرجال اليائسة الخائفة .. وبعدها تصاعد ضباب أحمر من المزرعة نحو السماء .. وأصيب الجميع بالذعر .. ذعر جعل ظهور ثلاث قطط تنقوس ، حيث جلست جوار المدفأة فى مزرعة (فيرن) .. ثم جاء صوت منغم مغمم بالشر قادماً من لا مكان .. يقول بالحرف كما دون الكاتب :

- « دسميس جينيت يون دوسيف دوفما إنتموس ! »

وحتى عام 1919 لم يربط إنسان بين هذه الحروف ، وبين أية خبرة معروفة لعالم الأحياء ، لكن (دكستر) تعرف ما وصفه (ميراننولا) بأنه الرعب الأقصى بين تعاويذ السحر الأسود .. وكأما تجيب على هذه التعويذة اندلعت صرخات هلع مريعة من المزرعة .. مع رائحة كريهة لم يشمها أُنْف بشرى من قبل ، وبعدها ساد الصمت والظلام ..

وقرب الفجر جاء رجلان - تفوح منهما رائحة كريهة لا توصف - وقرعا باب أسرة (فيرن) ، طلبا بعض الشراب ودفعا ثمنه .. وقال أحدهما إن موضوع (كوروين) انتهى ، وإن أحدث الليلة لا يجب ذكرها ثانية .. وهذا هو ما دفع (فيرن) إلى أن يطلب من قريبه أن يدمر الخطاب بعد قراءته ، لكن القريب الذي لم يطع الأمر ، قد أُنْقِذَ القصة من النسيان للأبد ..

وكان آخر ما عرفه (وارد) هو أن القوم وجدوا - بعد أسبوع من إعلان موت (كوروين) رسمياً - جثة متفحمة على العشب .. وكان الغريب أن هذه الجثة لاتمت بصلة شبه إلى البشر ، ولا أى حيوان سمع الإنسان به أو قرأ عنه ..

لم يتكلم واحد من الذين شاركوا فى تلك الحملة الليلية ، ومن المخيف أن تلاحظ الدقة التى حرصوا بها على تدمير كل وثيقة تشير إلى ما قاموا به .. كان تسعة بحارة قد هلكوا ، لكن أسرهم اقتتعت بما قيل عن هلاكهم فى معركة مع شرطة الجمارك .. نفس التفسير قدمه الرجال المجروحون . إلا أن اللغز الذى حير القوم فى البلدة هى تلك الرائحة الكريهة القوية ، التى كانت تفوح من الرجال بلا انقطاع ..

ومن لحظتها تخلصت البلدة من كل ما يشير إلى (كوروين) فى أوراقها ، وأرغمت الزوجة والابنة على تغيير اسميهما .. كأنما لم يكتف القوم بجعل الرجل يكف عن الكينونة ، بل جعلوه يكف عن الوجود فى الماضى ..

أما المزرعة فظلت مهجورة حتى عام 1880 ، ثم بدأت تتهدم ، فلم يبق منها إلا أطلال متداعية .. ولم يجسر أحد على الذهاب هناك ليرى عالم (كوروين) من قريب ..

الفصل الثالث

بحث واستغاثة

1

كما رأينا، عرف (تشارلز وارد) للمرة الأولى عام 1918 بنسبه إلى (جوزيف كوروين)، حتى إنه اهتم في الحال بكل ما يمت لهذا اللغز البائد.. وما كان بوسعه - وهو عالم السلالات وأسباب الأسر - ألا يكرس كل جهده لمعرفة كل شيء عن (كوروين) هذا ..

كان على (وارد) أن يرى بيت جده القديم في (أورن كورت)، والذي سره أنه على بعد مرمى حجر من بيته هو .. لم يكن قصراً، لكنه مجرد بيت قديم ذي طابقين، شيد على طراز المستعمرات في (بروفيدنس)، له سقف منحدر ومدخنة، ولم يكن به من الخارج إلا بضعة تغيرات .. وكانت أسرة من الزنوج من غسلة الملابس تعيش في البيت الآن .. ولما كان أفراد الأسرة يعرفونه، فقد سمحوا له

بتفقد البيت .. (أسا) العجوز وزوجته الباسلة (هانا) .. كان البيت قد تبدل كثيراً من الداخل، وفقد زخارفه الأنيقة، كما أن الجدران قد غطيت بورق حائط رخيص .. حقاً لم يجد (دكستر وارد) ما كان يبحث عنه، لكنه تحمس لفكرة أنه يقف بين الجدران التي وضعت يوماً جده المخيف (جوزيف كوروين) .. راح يبحث بعينه في جدران أية غرفة واسعة بما يكفي، كي تكون مكتبة الشرير العجوز ..

بعد ساعة من البحث، وجد غرفة أرضية واسعة .. ووجد حين خدش الطلاء فوق مدقاتها أن تحته طبقات من زيت، مما يوحي بصورة زيتية هائلة الحجم كانت هناك .. راح يحاول بعنف غير مبال بخدش الجدار، ثم وجد أن عليه طلب عون خبير استنقاذ اللوحات القديمة ..

بعد يومين عاد مع فنان واسع الخبرة هو مستر (والتر دوايت)، وقد قام هذا الأخير باستعادة اللوحة باستعمال كيماويات خاصة .. وقد دفع مبلغاً مناسباً للزوجين الزنوجيين، تعويضاً عن تخريب جدار

بيتهما بهذا الشكل .. ويومًا بعد يوم رحلت معالم الصورة تتضح ، في البداية من أسفلها إلى أعلى .. ثم بدأ الوجه يولد بببطء ، وكان لرجل هادئ الملامح يضع جملة أتيفة ، ويرتدى معطفًا أزرق ، جالسًا أمام نافذة تتراعى منها سفن في عباب البحر .. وهنا فقط أدرك (وارد) والفنان في ذعر العوبة الوراثة عبر القرون ..

كان اتبهر (وارد) هائلًا حتى إنه أسرع بإحضار أبويه ليريا هذه المعجزة .. لم تكن الأم تحصل أى شبه لجدها ، لكن الأب اتبهر بالشبه إلى حد أنه عرض مبلغًا ضخماً من المال على صاحب الدار ، كى يقبل أن يسمح له بانتزاع الصورة سليمة من على الجدار وينقلها إلى داره .. ذلك برغم اعتراض الأم الشديد ..

وبصعوبة شديدة ، وبالاستعانة بحرفيين بارعين من إحدى شركات الديكور ، تم نقل الصورة لتثبيتها فوق منقاة كهربية في غرفة مكتب (تشارلز دكستر) بالطابق الثالث .. وبينما (وارد) يشرف على عملية النقل ، وجد تجويفا بين قطع القرميد فوق مكان الرأس في اللوحة .. كان التجويف مليئا بالغبار ونسيج العناكب ، لكن معها أيضا كانت مجموعة من

الأوراق المصفرة ، ومادة متآكلة يبدو أنها رباط كان يحزم الأوراق معا ..

تحسس (وارد) الأوراق ، فوجدها مكتوبة بالإنجليزية إلا أنها بنوع غريب من الكتابة ، تعلم قراءته من قبل فى الجامعة .. وكان المكتوب هو «ملاحظات جوزيف كوروين عن سالم وبرفيننس» .. وقد تحمس (وارد) بما يفوق الوصف ، وعرض هذه الأوراق على الحرفيين ، اللذين فيما بعد أقرا بأنها أصلية تماما .. ويعتمد د . (ويليت) على ما شهدا به من أن الفتى لم يكن مجنونًا على الإطلاق وقتها ..

فى مقدمة الأوراق كتب (كوروين) بخط يده :
« إلى من يأتى بعدى ، وكيف يقهر الزمن والحدود الأرضية »

بعد هذا تأتى أوراق مكتوبة بلغة مشفرة ، ومعها - فيما بدا له (وارد) - مفتاحها ، ثم العبارة « جوزيف كوروين .. حياته وأسفاره بين العامين 1678 و 1687 .. إلى أين سافر وأين بقى وماذا رأى وماذا تعلم .. »

الآن وصلنا إلى النقطة التي يؤرخ بها أكثر الأطباء للتفسيين الأكاديميين بداية جنون (وارد) .. ويمكن هنا أن نقول إنه رأى أشياء أثارت توتره، حتى إنه عرض الأوراق على الرجلين دون أن يسمح لهما بقراءة المحتوى ذاته، وبحماس لا يبرره اهتمامه بطم الأنساب ولا علم الآثار .. ويبدو أنه عرض الأوراق على الرجلين فقط؛ ليروي فضولهما الذي قد يقودهما للكثير من الكلام ..

وفي بيته قضى الليل كله يدرس الأوراق، حتى إن الصباح جاء وهو لم يتحرك .. وحتى وجباته كان يأكلها بعد إلحاح من أمه .. وينصف عين كان يتأمل وجه (كوروين) في اللوحة المعلقة على الجدار .. واعتاد أن يخفي الأوراق عن والديه وتقطعت ساعات رياضته وجولته اليومية .. أما في وقت النوم فكان يضع الأوراق في خزانة مغلقة

بإحكام .. وبطبيعته المتوحدة الناكسة من الأصل، لم يجد الأبوان ما يريب في سلوك ابنها لفترة طويلة ..

بدأ الفتى يقرأ كثيراً، لكن ليس في التاريخ كما اعتاد، بل في السحر وعلوم الشياطين، واعتاد أن يسافر إلى (بوسطون)؛ ليبحث في مكتبتها ويبتاع كتباً غريبة .. كما أنه كان يستقل القطار إلى (سالم)؛ ليبحث في مكتبة جامعة (إسكس) عن مراجع أخرى .. وبدأ يهتم بأماكن المقابر القديمة في المدينة، وبالطبع بدأ تحصيله في الدراسة يتدهور، وإن كان لم يراسب في أي متحان بعد ..

وفي مايو استدعى أبوا (تشارلز وارد) الدكتور (ويليت) كي يراه ويتكلم معه .. ولم تكن مقابلة مثمرة؛ لأن الفتى كان متمالك الجأش مسيطراً على الحقائق .. ويرغم أنه قليل الكلام يصعب حصاره، فإن الطبيب عرف منه قبيهاً من الأمور التي تشغل باله .. إن الأوراق التي وجدها عظيمة الأهمية، وتمثل للبشرية صدمة تماثل الصدمة التي أحدثها

(أينشتاين) ذاته ، لكن لا يمكن استيعابها إلا
بالاعتماد على علوم لم تعد مطروقة هذه الأيام ..
عليه أن يتعلم سريعاً تلك الفنون التي يجب لمن
يدرس أوراق (كوروين) أن يجيدها .. وقال إن قبر
(كوروين) قد أزيل من عليه اسمه ، لكن بعض
النقوش قد بقيت إهمالاً ، وهذه النقوش رسمت
بعناية طبقاً لأوامر (كوروين) نفسه ، ومعنى هذا
أنها هي مفتاح البحث .. ويبدو أن (كوروين) لم
يرد أن تموت أبحاثه معه ..

بالطبع كان الطبيب رجل علم ؛ لذا قاوم الانطباع
القوى بأن عيني الصورة المعلقة فوق المدفأة
تتابعان (تشارلز دكستر) كلما مشى في الغرفة ..

أما وقد طمأن الطبيب للوالدين أن ابنهما لم
يمرض بعقله ، وإنما هو بصدد كشف هائل ، فقد
تقبل الأبوان بشكل غير متوقع رغبة ابنهما في ألا
يذهب إلى الكلية ثانية .. قال إنه يرغب في دراسة
ما هو أكثر أهمية بكثير ، وإنه راغب في السفر
للخارج بحثاً عن مصادر معلومات معينة .. وهكذا

- في سن السابعة عشرة - صار (وارد) طبيباً ،
وقد منحه الأب فرصة ثلاث سنوات يجرى فيها
أبحاثه ، ويزور المقابر القديمة التي يريدتها ..

وفي عام 1923 ورث الفتى ثروة صغيرة من
إحدى جداته ، فأعلن أنه راغب في السفر إلى
(لنغبرول) .. ووعد أبويه بخطابات منتظمة طيلة
إقامته في العالم القديم .. فلم يجد الأبوان المذهولان
إلا للقبول ..

عام 1924 أرسل مذكرة صغيرة تقول إنه سيرتحل
إلى باريس ؛ بحثاً عن مخطوطات في المكتبة القومية
هناك .. مرت ثلاثة أشهر ظل يرسل الخطابات من
عنوان في شارع (سان جاك) . بعد هذا انقطعت
الخطابات ، ثم - في أكتوبر - جاء الخطاب التالي من
(براج) ، حيث قال إنه يستجوب رجلاً عجوزاً يملك
عددًا هائلاً من مخطوطات العصور الوسطى .. ثم
في يناير جاء خطابه التالي من (ترنسلفاتيا) ، حيث
هو في ضيافة من يدعى بالبارون (فريנקزي) ..
وفي مايو يكتب لأبويه ينصحهما بعدم السفر للحاق

به في أوروبا؛ لأن قلعة البارون لا تناسب الزوار
أبداً، والبارون نفسه ليس من النمط الذي يروق
لأهل (نيوإنجلند) المحافظين الطيبين ..

ولم يعد الفتى إلى (برفیدنس) إلا في يناير
1926، وكان ذلك في المساء .. حيث راح الفتى يطل
برأسه من العربة، يلتهم الشوارع التهاماً ..
(بروفیدنس) من جديد ! حيث كانت طفولته ..
الأرض التي ارتحل من أجل كشف أسرارها، وعاد
لأنها تناديه ..

لقد عاد (تشارلز دكستر وارد) أخيراً إلى
وطنه ..

3
ثمة مدرسة من الأطباء النفسيين تعتبر أن رحلة
(وارد) إلى أوروبا هي بداية جنونه الحقيقية ..
ولكن د. (ويليت) يصر على إنكار هذا الزعم،
ويؤكد أن الجنون حدث بعدها، وإنما غرابة
تصرفات الفتى تعود لأمر غريبة تعلمها في
الخارج .. فقط ما أعطى انطباع الجنون لم يكن
سوى أصوات غريبة، تنبعث من صندوق بيت
(وارد) حيث المعمل، الذي راح يحبس نفسه فيه
أكثر الوقت .. وبرغم أن هذه الأصوات كانت تخرج
من حجرة (وارد)، إلا أن في لحنه وصوته ما يثير
الرغبة في قلب كل من يسمعها ..

ولوحظ أن (نيج) - القطة السوداء المحبوبة -
كانت تقوس ظهرها حين تسمع هذه الأصوات ..
وكانت الروائح المنبعثة من المعمل أحياناً منقرة
جداً، لكنها في الأغلب عطرية ذات خاصية
مدوخة .. والأسوأ هو أن الفتى صار يشبه صورة

« ملاحظة بعض نابسي القبر فجر اليوم »

اكتشف (روبرت هارت) الحارس النيلي في المدافن الشمالية ، مجموعة من الرجال ومعهم سيارة في أقدم مكان بالمقابر . ومن الواضح أنه باغتهم قبل أن يحتقروا خدقهم . قد حدث هذا في الرابعة صباحاً حينما سمع الحارس صوت محرك . ولما سمع المسائلون صوت خطواته ، وضعا مسرعين صندوقاً في عربتهم ، وفروا قبل أن يلحق بهم . ولما لم توجد أية مقابر منبوشة ، فإن (هارت) يؤكد أنهم كانوا يحاولون دفن الصندوق الذي معهم . وقد رجح رجال الشرطة أن هؤلاء من مهربي الخمور ، وقد حاولوا دفن بضاعتهم في حفرة صيقة ، وجدها رجال الشرطة هناك .

في الأيام التالية ازداد (تشارلز) عزلة وغموضاً ، وازدادت الضوضاء والروائح الغامضة المنبعثة من المكان ..

وشعر أبواه و د. (ويليت) بحيرة بالغة إزاء ما ينبغي عمله أو التفكير فيه ..

وفي تلك الليلة الغربية تعالت صرخات (وارد) من حجرته ، وتعالى نباح في المدينة ، وهو نباح

جده المعلقة على المدفأة أكثر فأكثر .. وكلما زاره الطبيب كان يجد عسراً بالغاً في الوصول إلى نفسيته ، وكان يرى رسوماً بالطيشور تم محوها على الأرض .. يرى نجومًا خماسية ودوائر غريبة ..

وفي العام 1927 ازدادت الأقاويل عن جنون (تشارلز دكستر وارد) ، وصار عسيراً إبقاء الخدم في الدار .. وازدادت طقوس السرية والانعزال ، حتى إنه صار ينام في المعمل ويأكل فيه ، فلا يخرج إلا نادراً لجلب بعض الكتب من المكتبة .. وفي ليلة تأخر فيها بالخارج حتى الفجر ، استطاعت الأم أن ترى عربة تقف أمام الباب ، يخرج منها أربعة رجال يحملون صندوقاً طويلاً مغلقاً ، ويدخلونه إلى البيت ..

بعد يومين تخلص (تشارلز) من الجريدة اليومية قبل أن يقرأها أحد من أهل البيت ، وفيما بعد استطاع د. (ويليت) أن يعرف تاريخ اليوم بدقة ، وذهب إلى مكتب الجريدة ليراجع للنسخة المختفية ، وكان المكتوب فيها هو :

قوى إلى درجة أن الصحف تكلمت عنه فى اليوم
التالى ، وسعته الأم المذعورة يقول بالحرف :

« دسميس جيشيت يون دوسيف دوفما إنبتوموس ! »

ولم تغب عنها دلالة هذه الكلمات ، فقد حكى لها
(تشارلز) - فى الأيام الخوالى التى كان يخبرها
باكتشافاته فيها - أن هذه هى الكلمات التى تصاعدت
من مزرعة (كوروين) ، فى الليلة التى قتل فيها ..
والآن بدأ ينشد شيئاً بدا لها مثل :

« يى ناش بوج سوتوث هى إيجب نرودام .. »

وراح الصوت يعلو أقوى وأقوى .. هرعت الأم
بكل ما تشعر به من دعر ، وكل ما فى أمومتها من
قوة ، تفرع الباب فى إصرار لكنها لم تتلق إجابة ..
ولكن بعد قليل سمعت صرخة شيطانية مريعة تأتى
من الداخل .. هنا فقدت الوعى ، وإن لم يكن
بوسعها فيما بعد أن تقدم سبباً محدداً ..

وجاء (وارد) الأب من عمله ، ليجد الخدم
المذعورين يخبرونه أن الأم تنقف عند باب ابنها ..

هرع إلى هناك فوجدها ممددة على المنخل فأقده
الرشد .. هرع يرش وجهها بالماء البارد ، حين
سمع شيئاً كاد يجعله فى نفس حالتها ..

فمن وراء الباب كان هناك صمت .. لكنه ليس
صمتاً تاماً .. كانت هناك محادثة خفيفة لا يمكن
استيعاب مقاطعها ، لكن شيئاً فيها يثير الفزع فى
النفوس .. محادثة لها طابع السؤال والجواب ..
والصوت الآخر لا يمكن أن يخرج من حلق
(تشارلز) أبداً ، مهما بلغت براعته فى التقليد ..

حمل الأب زوجته مسرعاً إلى الطابق السفلى قبل
أن تميز حرفاً من هذه المحادثة .. وقرر أن يتخذ
مع ابنه إجراءات حازمة ، فمهما بلغت أهمية أبحاث
ابنه ، فهى قد بلغت درجة خطيرة تتهدد السلام
النفسى لهذا البيت .. لا بد أن الفتى قد تخلى عنه
عقله تماماً ؛ لأنه ما من تفسير لكل هذه الصرخات
الجنونية والمحادثات الخفيفة مع لأحد .. ولو لم
يوقف هذا كله ، فلسوف تهلك مسز (وارد) ، ويفر
الخدم جميعاً ..

وحيث دخل الأب غرفة ابنه ، كان أول ما لاحظته هو أن شيئاً ما ليس فى مكانه .. دار بعينه فى المكان ، ثم أدرك أن الصورة التى على المدفأة .. صورة (جوزيف كوروين) .. لم تعد هناك .. لقد تمزقت .. تحولت إلى أشلاء وتناثرت أجزاؤها فى كل صوب على الأرض ..

الفصل الرابع تحول وجنون

1

فى الأسابيع التالية استمر (دكستر وارد) فى نشاطاته الليلية المصحوبة بصخب عال ، أو صوت محاورات مع طرف مجهول ، وفى كل مرة كان الأب يكتفى باللوم ، بينما ابنه يقدم وعوداً واهية .. وفى الآن ذاته حدثت حادثة معينة فى مقبرة البلدة ، تتعلق بنيش قبر من يدعى (عزرا ويدن) .. وقد أخرج المجهول جثته - أو ما تبقى منها - ومزقها بالفأس تمزيقاً .. لم يعرف أحد الفاعل ، وإن كانت آثار الأقدام التى وجدوها جوار القبر تدل على حذاء رجل ثرى .. لم يعرف آل (ويدن) سبب هذا ولم يتهموا أحداً ، أما حارس المقبرة فنكر الشرطة بحادث مماثل منذ شهر ، لكن الشرطة استبعدت وجود علاقة بين الحادتين ..

فيما بعد ربط الأطباء النفسيون بين هذا الحادث والشاب (تشارلز دكستر وارد) ، كما أنهم ربطوا بينه وبين حوادث مص الدماء التي تكررت في المنطقة مؤخراً .. إن هذه الحوادث حديثة جداً وشهيرة بحيث لا تحتاج إلى شرح مفصل .. لقد بدا أنها تستهدف ضحايا متباينى السن والنوع ، وبدا أنها تستهدف منطقتين : (نورث إند) قرب بيت آل (وارد) ومزرعة (بوتكست) .. لقد هوجم عابرو الطريق وأصحاب المنازل ذات النوافذ المفتوحة ، ومن ظلوا أحياء تحدثوا عن وحش نحيل رشيق ، كان يقرس أسنانه في حناجرهم أو أنزعهم ، ويمتص الدماء بنهم ..

وقد رفض د. (ويليت) فى إصرار أن يربط بين (تشارلز وارد) وهذه الحوادث ، وقال : «لم يكن (وارد) قادراً على هذه الأفعال ولم يذق طعم الدم قط .. لقد تورط فى أمور مريبة دفع ثمنها غالياً ، لكنه ليس غولاً ولا وحشاً» .

وساعات حالة الأم كثيراً ، وتدهور جهازها العصبى ، مما دفع الطبيب إلى أن يطلب إرسالها إلى

إحدى المصحات البعيدة . ونصح الأب والابن ألا يرعلا لها إلا خطابات تحوى كل خبر سعيد ..

وربما كان هذا هو الشيء الذى أتخذ حياتها ..

بعد هذا اتخذ (وارد) عنقه كى يشتري مزرعة (بوتكست) .. وألح إلحاحاً شديداً على السماسرة ، حتى اشتراها بعد جهد ، وبثمن باهظ من مشتري متردد قليلاً ..

وسرعان ما نقل كل متاعه وحاجياته إليها فى عربة ، تحت جناح الليل .. وكان متاعه يتكون من أجهزة معمله وكتبه الرهيبة .. وسرعان ما بدأ يستقر هناك ويقضى فترات أطول ، واتخذ له رفيقين ، أحدهما يرتغالى شربير الشكل نصف هجين اسمه (جوميز) ، والآخر رجل أكاديمى من زملائه له لحية مصبوغة وعيونات سمكية ، عرف الجيران أن اسمه د. (ألين) ..

ولقد راحت الإشاعات تسرى فى البلدة عن التجارب الكيميائية الغامضة التى يقوم بها (وارد) ،

8 فبراير 1928

بروفيدنس

عزيزى د. (ويليت) :

أشعر أن الوقت قد حان أخيراً كي أكتشف ما وعدتك به من زمن ، ولن أكف أبداً عن تقدير ما أظهرته لى من كرم ، وما منحت لى من ثقة وصبر . على أننى أعترف أنه بدلاً من النصر الذى حسبته لم أجد إلا الرعب .. ليس هذا إعلان نصر بل طلب غوث .. طلب نصيح لأنقذ نفسى والعالم من هول يفوق كل حسابات وتخييلات بشرية .. هل تذكر ما حكيتك عن الحملة الليلية على مزرعة (كوروين) ؟ يجب تكرار هذا الآن .. وعليه يتوقف سلام هذا البلد .. سلام للقوانين الطبيعية .. سلام البشرية .. وربما سلام هذا الكوكب ..

لقد جلبت لعالمنا شيئاً مخيفاً ، والآن من أجل الحياة والبشر يجب أن تساعدنى على إعادته إلى الظلام ثمانية .. لقد فارقت مزرعة (بوتكست) للأبد ، وعليك أن تستأصل كل ما هناك حياً أو ميتاً ..

وعن كميات اللحم الضخمة التى تجيء من الجزار ، وعن أصوات الاستغاثة والهلع التى تصدر من المزرعة ليلاً .. وربط القوم بين هذه المزرعة وبين وباء مصاصى الدماء ، الذى اجتاح المكان فى دائرة مركزها هو المزرعة ..

ظل (وارد) يعيش تحت سقف أبيه ، وازداد ضعفاً ونحولاً .. ولم تبد قصصه هذه المرة مقتعة ، وهو يحكى للدكتور (ويليت) عن بحوثه المستقبلية العظيمة .. وحتى هذه اللحظة كان د. (ويليت) يصر على أن الفتى عاقل تماماً ..

فى 9 فبراير 1928 ، تلقى د. (ويليت) من (تشارلز) خطاباً يعتبره ذا أهمية فائقة ، لكن د. (لايمان) يصر على أن هذا الخطاب نموذج لحالة من العته المبكر (ديمنشا بريوكوس) . بينما يصر (ويليت) على أن الخطاب هو آخر كلمات عاقلة للفتى عاثر الحظ .. ونص الخطاب كما يلى :

ولا تصدق من يقول لك إننى مازلت هناك .. ولسوف
أفسر لك كل شيء حين تجد لديك سبع ساعات
متصلة تصغى فيها إلى قصتى كاملة .. نعم .. إن
القصة بهذا الطول حقا .. إن لدى أربعة رجال من
وكالة خاصة يراقبون المنزل ، لكنهم ليسوا بهذه
الكفاءة لأنهم لا يعرفون ما هم بصدده .. تعال إلى
منزلى ، ولا تتلفن لأننى لا أعرف من - أو ما - يمكن
أن يعرف ويعترض طريقك ..

بكل جدية وبأس
تشارلز دكستر وارد

ملحوظة :

« أطلق الرصاص على د. (ألين) بمجرد رؤيته
وأذب جسده فى الحمض .. لا تحاول حرقه .. »
قرأ د. (ويليت) الخطاب العجيب . كانت الساعة
العاشرة صباحاً ، ولم يكن يستطيع تأجيل سماع
القصة أكثر من هذا .. فقرر أن يتوجه إلى دار
(وارد) فى الرابعة عصرًا ، وهكذا يمكن إنهاء
سماع القصة فى العاشرة مساءً ..

وفى الرابعة اتجه إلى البيت ، لكنه - لخيبة أمله -
لم يجد الفتى .. قال له أحد المخبرين الواقفين على
الباب ، أن (وارد) الشاب تلقى مكالمة صباح اليوم
بدت كنوع من التهديد ، وإته راح يردد فى الهاتف
عبارات من قبيل : « لا ترسل المزيد .. فأتنا مرهق »
و « أنا بحاجة إلى إجازة » و « لا تفعل شيئاً قبل أن
نتفق » .. ثم وضع السماعة وغادر الدار .. وفى
الواحدة بعد الظهر عاد ليتخلص من بعض الكتب
على رفوف مكتبته ، وكان صوت البكاء والأتين
عالياً ، حتى إن الخادم تساعل عن وجود مشكلة ،
لكن (تشارلز) نظر له نظرة جعلت الدماء تجف فى
عروقه ، ثم غادر الدار من جديد ..

دخل د. (ويليت) المكتبة وقضى ساعتين ينتظر
عودة الفتى بلا طائل .. راح يتأمل رفوف الكتب ، ثم
توقفت عيناه عند اللوحة التى تفتت وتمزقت فوق
المدفأة .. الحق أنه لم يحب تلك الصورة قط ،
وبرغم قوة أعصابه ، فإنه شعر كأنما تركت خلفها
جواً من الشر .. فلم يملك حين غادر الدار أخيراً ،
أن يشعر بامتنان شديد لكونه يشم الهواء النقى من جديد ..

١٢٩

مرت أيام لم يعد فيها الفتى إلى الدار ، واتصل
د. (اللين) بالأب يخبره أن ابنه منهمك بصدد عدد
من الاكتشافات المهمة ، لهذا سيتغيب طويلاً في
المزرعة .. ثم يتمالك الأب شعوره بأن هذا الصوت
مألوف يذكره بشيء ما .. وهنا وجد د. (ويليت)
نفسه حائراً بين تصديق خطاب الفتى ، وبين تصديق
زميله الغامض ذي اللحية .. وأخيراً بعد أسبوع قر
قراره على زيارة المزرعة ؛ لمعرفة الحقيقة من فم
صاحبها ..

قاد سيارته عبر طريق (لوكوود) ، ثم ترجل ..
ومشى بين البيوت القليلة هناك ..

قرع الباب بحزم ، ثم تكلم بجرأة مع الهجين
البرتغالي المخيف الذي فتح الباب .. قال إنه يجب
أن يرى (تشارلز وارد) للأهمية ، وهو لن يقبل أي
عذر ، ولن يجدي منعه إلا في جعله يبلغ الأمر إلى

(وارد) الأب .. تردد البرتغالي قليلاً ، لكن (ويليت)
كرر أمره بصوت أعلى .. هنا سمع من الظلام صوتاً
مبحوحاً يثير الرعب وإن كنت لا تدري لِمَه :

- «دعه يدخل يا (توني) .. يمكننا أن نتكلم
الآن ..»

ثم صدر صرير من الأرضية ، فاتضح أن قائل
هذه الكلمات لم يكن إلا (تشارلز وارد) نفسه ..
وتكمن أهمية هذه المحادثة في أنها المرة الأولى
التي يقر فيها (ويليت) بحدوث خلل في عقل
(تشارلز) ، وللمرة الأولى يعترف بأن هذا العقل كان
عقلاً غريباً عن العقل الذي رباه منذ مئة وعشرين
عاماً ..

اتحنى الفتى واقتاد الطبيب إلى الداخل ، وراح
يتحدث بذلك الصوت المبحوح الغريب الذي حاول أن
يفسره :

- «قد أصبت بالدرن من هواء النهر المشنوم
هذا .. أعتقد أنك موفد من أبى لتري ماهداتى ،
واتنى لأمل ألا تخبره بما يقلقه ..»

سأله د. (ويليت) عن خطابه الأخير المذعور ،
وهو يتعنى لو لم يكن المكان مظلمًا إلى هذا الحد ..
فقال الفتى :

- «كنت سأطرق لهذا .. إننى فى حالة عصبية
سيئة ، وأقول وأفعل أشياء غريبة بلا تفسير .. لكنى
أؤكد لك أننى لا أفعل شرًا ، وإننى لأرجو أن تمهلنى
سنة أشهر أخرى .. إننى أتطمع أشياء مهمة لكن
ليس من الكتب .. لقد كان سلقى يملك هذه القدرات
حين جاء البصاؤون ودمروه .. أنا الآن قريب جدًا
من هذا المستوى .. د. (ألين) رجل كريم ، وإننى
لأعتر عن أى شىء سيئ قلته بصدد .. إنه ذو
عون عظيم لى ، ولأننى كنت أهاب العمل ، فقد هبته
هو أيضًا بنفس القدر .. ويؤسفنى أنه ليس هنا الآن ؛
لأنه يقوم بعمل ما فى مكان آخر »

نظر له د. (ويليت) ولم يجد ما يقول .. لكنه
كان أميل إلى تصديق الخطاب ؛ لأنه أقرب إلى
(وارد) الذى عرفه ، منه إلى تلك المحادثة الغريبة
المريبة .. وقد لاحظ فى حوارهم مع الفتى ، أن الأخير

بدا أكثر اهتمامًا وتفاعلاً مع الماضى بشكل غريب ..
أكثر بكثير مما يمكن أن يهيم دارس تاريخ ، لكنه كان
يتحدث برغمة عن الحاضر ، ويبذل جهده كى يقتنع
د. (ويليت) بأن كل شىء على ما يرام ، ويمكنه أن
يرحل فلا يرجع .. بل إنه دعاه ليرى معمله ومكتبته
فى المزرعة ..

أدرك (ويليت) على الفور أن هذه الكتب
والمعدات القليلة ليست سوى غطاء خداع واه
جدًا .. بالتأكيد توجد فى مكان ما مكتبة ومعمل
حقيقيان ، ولكن أين ؟

فى النهاية - وقد فشل فى العثور على شىء
لا يعرف كنهه - عاد إلى (وارد) الأب وأخبره بكل
شىء .. قرر الأب ألا تعرف للزوجة بأى شىء ، وقرر أن
يزور ابته بنفسه زيارة مفاجئة ليرى ما هناك .. لكن
الزيارة لم تثمر عن أية معلومات ذات قيمة ، ما عدا
أن الفتى صار أسوأ .. ولم يعد يحتمل أى نوع من
الضوء ، كما أن صوته المبحوح جعل من سماعه
شئنا عسيرًا ومخيفًا معًا .. والأسوأ هو أن موظفى

المصارف جاءوا إلى البيت يتسألون عن سبب
تغير توقيع الفتى على الشيكات ، بحيث لم يعد يشبه
توقيعه الأصلي أبدًا ، وقد زعم الفتى لمن قصدوا
المزرعة أن مرضه العصبي جعل يده ترتجف في أثناء
الكتابة .. ولاحظ الموظفون أن الفتى صار يبلغ
الجهل بالأمور المالية ، التي كان يعالجها بعناية منذ
شهر أو أكثر .. لاحظوا كذلك أنه تغير .. كاتوا
يعرفون أنه مولع بالآثار والتاريخ ، لكن مهما بلغ
ولعه ، فلن يصل الأمر إلى أن يستعمل لغة قديمة
عجبية ، ويأتى بإيماءات غفل عنها الزمن ..

في النهاية - في شهر مارس - جاء د. (ويليت)
بثلاثة من الأطباء النفسيين ، وذهبوا مع الأب
ليقابلوا الفتى ، ويطلبوا منه أن يقبل دخول
المصحة .. من الغريب أن الفتى لم يقاوم وقبل
الفكرة على الفور ..

وفي المصحة الخاصة الجميلة التي يملكها
د. (ويت) على الساحل في (كوناتيكت) ، شرع

الأطباء يفحصون الفتى بعناية .. هنا فقط لاحظوا
التغيرات الجسمانية التي طرأت عليه ؛ التمثيل
الغذائي البطيء والجلد الغريب والانعكاسات العصبية
المحيرة .. وكان أفضل الملاحظين بالطبع هو
د. (ويليت) ؛ لأنه يعرف الفتى من طفولته .. حتى
الوحمة الشبيهة بالزيتون على الردف قد اختفت ،
وظهرت وحمة على صدره لم تكن هناك قط .. وقد
ذكرت الطبيب بالعلامات التي يرسمونها للسحرة في
بعض بقاع الأرض النائية .. ضليقه كذلك وجه الفتى
دون أن يعرف لذلك سببًا ، حتى تذكر فجأة أن فوق
عين الفتى اليمنى توجد ندبة كالتى رآها في صورة
(جوزيف كوروين) ..

في الآن ذاته عكف الأب و(ويليت) على مطالعة
بريد الفتى الذى يصل إلى المزرعة ، وقد استلقت
نظرهما هذا الخطاب الغريب القادم من
(ترانسلفاتيا) موجهاً إلى د. (ويليت) :

جاءني عشرون جندياً للتحقيق معي فيما يقولون الريفيون عنى .. هؤلاء الرومانيون يضايقوننى حقاً ، فى الوقت الذى كان بوسعك فيه شراء أى مجرى ببعض الطعام والشراب^(*) ..

سرنى أنك تطلب أعداداً أقل هذه الأيام ؛ لأن الحراس من غير رأس خطرون ، ويمكن أن يجلبوا المتاعب لو وجدهم أحد عندك .. هل مازال فتاك خائفاً ؟ لو وجدته كذلك فمن الصالح أن تضع نهاية للأمر .. إن لديك البيدين القويتين والمسدس والسكين ، والقبور ليست عسيرة الحفر ..

خلال عام سأحصل على العدد الذى أريد من تحت (مفيس) ، عندها لن تكون حدود لعا نستطيع عمله .. وتذكر أتنى أفورك خبرة بمائة وخمسين عاماً .

نقرو كان أى حادث .. »

(*) ترانسلافيا كانت تتبع النمجر ، ثم صارت تتبع رومانيا فى هذا الوقت

الفصل الخامس

كابوس وطوفان

1

والآن تجيء سريعاً تلکم الخبرة المروعة ، لتترك آثارها على وجه من يعرف باسم (مارينوس بكنل ويليت) ؛ وتضيف عقداً إلى سنه المتقدمة أصلاً .. لقد أدرك مع الأب أن هناك شراً مستطيراً يحيق بالعالم ، أقدم بكثير من سحر (سالم) .. وقد استحوذ هذا الشر على رجلين على الأقل منهما (تشارلز وارد) .. أما ما يقوم به هؤلاء فقد صار واضحاً الآن من الخطابات والحقائق التى بدأت تتجمع .. إنهما يمارسان (النكروماتسى) ببراعة مستعنين بخبرة غولين من (روماتيا) و(وبراج) ، وهما اللذان استعان بهما (تشارلز) فى أبحاثه السابقة .. يسطوان على المقابر القديمة حيث يرقد أحكم وأعظم الرجال ، أملا فى أن يستردا من الغبار بعض بقايا العقل والوعى اللذين كانا يحركان هؤلاء ..

لقد وجدا طرقاً آمنة لإعادة الحياة إلى تلك العقول ، ربما في نفس الجسد أو جسد آخر ، وهذا يذكرنا بكلام (بوريلوس) عن استحضر (أملاح جوهريّة) من بقايا الجثث .. ومن هذه الأملاح يمكن الحصول على الحكمة مقطرة .. ثمّة معادلة لاستحضر هذه الأملاح ، ومعادلة لإعادة التراب إلى حالته .. ومن الواضح أنها أجابا هذا الأسلوب وصارا قادرين على تعظيمه ..

وارتجف د. (ويليت) ود. (وارد) وهما ينتقلان من استنتاج مخيف إلى آخر .. ماذا عن (تشارلز)؟ أية قوى مخيفة وصلته من جده (جوزيف كوروين) وجعلت عقله يعيش في الماضي تماماً؟ من الواضح تماماً أنه وجد قبر (كوروين) .. إن حادثة سرقة المقبرة أمر لا يمكن نسيته بسهولة ..

من الواضح كذلك أن (تشارلز) استدعى شيئاً ما فجاءه .. هذا هو سر الصوت الذي سمعه الأب يتحدث مع (تشارلز) خلف باب الغرفة .. أليس هذا

الصوت هو نفسه صوت د. (ألين) حين تحدث إليه هاتفياً؟ ترى أية حضرة مفزعة لبت نداء (تشارلز) خلف ذلك الباب المغلق؟ إن د. (ويليت) يشعر - بل ويعرف - الآن أن عقل (جوزيف كوروين) قد عاد يمارس الوجود على هذه الأرض ..

وقرر الرجلان أنه مادام من المؤكد وجود أفلاك سرية تحت المزرعة ، فإن من واجبهما استكشاف هذا المكان بعناية .. وقررا أن يحضرا حقيقتين تحويان ما يلزم للحفر والتنقيب ..

وفي صباح السادس من إبريل وصل الرجلان إلى المزرعة .. كانت خالية الآن ، وكانا يعرفان أن العمل الحقيقي يبدأ في القبو .. وكان (ويليت) يعتقد أن الطريق الصحيح للبحث هو أن يفكر بنفس طريقة (وارد) الشاب ، الذي بحث عن الأقبية للمرة الأولى ، دون أن تكون لديه فكرة عن مكاتها إلا الإشاعات .. وبالمزيد من التدقيق ، وباستعمال طريقة الاستبعاد ، استطاع أن يجد جزءاً منزلقاً من الأرضية .. وتحتّه وجد غطاءً من الخرسانة له حلقة يفتح منها ،

وكان سهل الفتح .. لكنه لاحظ شيئاً غريباً على الأب .. كان يتأرجح أماماً وخلفاً كعدن ثقيل ، وأدرك (ويليت) أن هذا بسبب الهواء المسموم القادم من الفتحة ، لذا لم يترك شيئاً للظروف .. أخرج الرجل من المزرعة ، وأرغمه على أن يستقل سيارة أجرة تعود به إلى داره ، ثم عاد وحيداً إلى تلك الفتحة في الأرضية .. أخرج كشافاً ولف منديلاً حول أذنيه .. ثم تفحص الفتحة جيداً ، فوجد أن بداخلها درجات سلم معدنى وسط جدران من خرسانة ، بعدها تبدأ درجات صخرية تهبط إلى أسفل ..



ثم عاد وحيداً إلى تلك الفتحة في الأرضية ..

لم تكن الدرجات حلزونية، ولكنها مستمرة لأسفل بلا انقطاع.. وقد عد الرجل ثلاثين وهو يهبط، حين سمع صوتاً غريباً.. عندها كف عن العد.. صوت من خوارق الطبيعة التي ما كان لها أن توجد.. هل يمكن أن ندعوه لهما يتألم من دون عقل؟ أي صوت هذا؟ لقد بدأ واستمر إلى ما لانهاية..

حاول ألا يفكر في (جوزيف كوروين) وتجاربه الرهيبة، وراح يستكشف المكان الذي وصل إليه.. إنه مجموعة من الغرف ذات الأسقف الحجرية المنحوتة، والتي تمثل ثروة لهواة دراسة المعمار.. هناك غزو هائل من الغبار وخيوط العنكبوت، لمكان لا يبدو أن قدما قد دخلته منذ قرن ونصف.. أخيراً وصل لغرفة على شيء من الحداثة..

كانت هناك رفوف كتب ومواقد زيت ومصابيح في كل مكان.. وكان يريد أن يجد الأوراق المشلومة،

تلك التي أخرجها (وارد) الشاب من وراء الصورة في (أورن كورت).. لكن كيف يمكن هذا مع كل هذه الأوراق؟ إن الأمر يحتاج إلى أيام وشهور.. أخيراً وجدها في خزانة من الماهوجني، وعرفها لأنه سمع شهادة العاملين الذين شاهدوها مع (وارد) من قبل.. رأى هذه العبارات مكتوبة إلى جوار رسم تئين يحدد اتجاه القراءة الصحيح من رأسه إلى ذيله، وكان المكتوب عند الذيل هو:

ياى نضاه ، يوج سونوت

هى ليهب

فاى نرودوج ، يوااه ، جيب ليب

١١١

كان شيء ما فاتنا في هذه العبارات، حتى إنه وجد نفسه يرددها مع أنفاسه دون أن يدري.. ثم قرر أن عليه أن يجد المعمل.. عليه ألا يفكر في كل البحارة الذين اختفوا، وكل القبور التي اتتهكت، وكل الأهوال التي رآها للرجال الذين هاجموا هذا المكان من قرن ونصف.. المشكلة هي أن الضجيج

بتعالى وثمة ما يشعرك بأنه قادم من أسفل .. بينما العفن يزداد قوة .. هذه قاعة تحيط بها درجات حجرية ، وثمة فتحات موحية في الأرضية ..

في النهاية وجد غطاء على الأرض ثبتت به حلقة معدنية .. مد يده ورفع الغطاء ، فتصاعدت أخبث رائحة شمها في حياته ، وفي هذه المرة اختلط الأبين بصوت ضربات مكتومة .. مد ذراعه بالكشاف ليرى أى شيء يرقد في قاع تلك الحفرة ، فرأى شيئاً أسود يصعد ويهبط في جنون محموم على جدران الحفرة التي تبعد عشرين قدماً .. أياً كان هذا الشيء فلا بد أنه جانح بعد شهر كامل منذ دخل (وارد) المصححة .. لهذا السبب كان (كوروين) يبتاع كل هذه الكميات من اللحم التي لغتت نظر القرية ..

قرب رأسه ونظر نظرة أخرى ، وهي النظرة التي ندم عليها فيما بعد كثيراً ، لأنها أنهت تاريخه المهني كجراح عظيم ، وجعلته أقرب إلى المجانين في مصحة د. (ويت) .. سقط المصباح من يده

التي فقدت توافقها العضلى ، وسمع صوت الأسنان فى قاع الحفرة وهى تمضغ المصباح .. صرخ وصرخ كما لم يحسب نفسه قادراً .. ولما كانت قدماه عاجزتين عن السير ، فقد راح يزحف على ركبتيه مبتعداً .. أما ما رآه فشيء لا يمكن وصفه .. كان أقرب إلى نقش على ضريح كابوسى لكنه حى .. كان كياناً مثوفاً غير مكتمل لا يمكن أن يكون ابن الطبيعة ..

راح العرق يسيل منه وهو يزحف فى الظلام مذعوراً .. وهنا رأى ما لن ينساه أبداً .. كانت واحدة من تلك الفتحات فى الأرضية تنزاح لأعلى ببطء .. وكان يعرف أن الشيء الذى رآه لن يستطيع تسلق الجدران الزلقة ، لكنه كان يخشى أن يمسه يقدمه ..

راح يزحف فى الظلام مردداً الصلوات .. باحثاً عن أى ضوء فى الظلام الدامس من حوله .. ضوء يمت لما تركه فى المكتبة .. كان يتحسس الأرض فى ذعر خشية أن يقع فى فتحة لا يراها ، بينما

ملا المصابيح بالزيت وجيوبه بالشمع والثقاب ،
ثم قرر أن يواصل استكشاف المتاهات المعقدة ..
هذه مهمة كريهة لكن لا بد من عملها ..

كان معمل (وارد) هو ما يريد .. فى النهاية
وصل إلى غرفة بها مجموعات غريبة من
القوارير ، بعضها مستدير وبعضها طويل .. لاحظ
أن القوارير مصفوفة بعناية على جانبي الغرفة ..
وكان بعض القوارير يدعى (كستودز) وبعضها
يدعى (ماتريا) ، كما كتب على لافتة خشبية هناك ..
كانت كل زجاجة معدودة بسدادة من معدن ، وعلى
كل منها رقم ربما يشير إلى مفتاح فى كتالوج ما ..
تناول قارورة من كل نوع وفتحها ، فلم يجد بها
إلا مساحيق ذات ألوان مختلفة .. ولاحظ أن الألوان
لا تختلط .. كما لاحظ أن المسحوق لا يلتصق أبداً ..
لقد سكب بعضه على كفه ، ثم أعاده إلى القارورة
فلم يبق شيء على كفه .. (كستودز) اللاتينية معناها

الرائحة الخائفة وصوت الأبين يصمان مسميه ..
والمشكلة هى أنه لم ير ما فى باقى الفتحات لحسن
حظه ! ذات مرة لمست يده الحلقة التى فتحتها من
قبل فجذب يده فى هلع ..

أخيراً رأى ضوءاً خافتاً من شمعة كان قد أشعلها
فى المكتب ، وتلفظ آخر أنفاسها .. وقد جعله هذا
يثب على قدميه ؛ لأن هذا الضوء هو آخر أمل له
فى الخروج من هذا التيه الجهنمى ..

وفى النهاية بلغ الشمعة المحتضرة فى غرفة
مكتب (وارد) .. الشمعة التى أنقذت حياته ..

(الحرس) و (ماتريا) معناها (المواد) .. لكن ما معنى هذا؟ هنا جاءت له لمحة إلهام .. الحرس هم المسئولون عن الحراسة والتعذيب والاستجواب ، أما المواد فهي بقايا العلماء الذين اختطفتهم عصابة السحرة هذه من قبورهم ، وبطريقة أئمة ضاللة يتم استجواب بقاياهم لمعرفة ما يمكنون من حكمة .:

واقشعر جسد (ويليت) وهو ينظر إلى يديه اللتين أمسكتنا بهذا الرماد الرهيب !

في قاعة أخرى وجد أدوات تعذيب ، من النوع السائد في عهود محاكم التفتيش ، وجوار الأدوات وجد زجاجتين من النوع المسمى (كستودز) .. كانتا فارغتين طبعاً .. لكنه فهم ما كان يدور في هذه الغرفة الرهيبة ، وعلى الجدار قرأ كلمات بخط قديم كتبت على الحجر ، وكان قد اعتاد رؤية خط (جوزيف كوروين) :

« بي ناش يوج سوتوت هي إيجيب نروداج .. »

وهي تقريباً ذات العبارات التي سمعتها الأم من غرفة ابنها في تلك الليلة ، وإن كانت مختلفة قليلاً

حسب ما تنأهى لسمع الأم المذعورة وقتها .. أحس بأن هناك اختلافاً غريباً في المقاطع ، ودون أن يبرى السبب وجد نفسه يتنرم بالكلمات كما يقرأها الآن ، وكما سمعها من الأم ، وكان صوته مريعاً وسط هذا الظلام ، ووسط صوت الأئين القادم من أسفل :

« بي نضاه يوج سوتوت .. هي إيجيب فاي نروداج ..
اوواه .. »

لكن ما سر تلكم الريح الباردة التي هبت بمجرد الغناء؟ تأرجح ضوء الشموع ، ثم وجد أن القارورة الملقاة على الأرض بمسحوقها الغريب ، قد راح يتصاعد منها بخار كثيف .. يا إلهي الرحيم ! وتذكر الخطابات التي وصلت إلى (كوروين) :

« أقول لك ثانية : لا تستدع ما لا تقدر على إعادته .. كن مستعداً بكلمات الرقاد طيلة الوقت .. ولا تكف عن الاستيثاق ممن لديك .. »

يا إلهي الرحيم ! ما هذا الشكل خلف الدخان الكثيف ؟

لم يأمل (وبليت) فقط أن يصدق أحد جزءاً من قصته ، لهذا احتفظ بها لنفسه حتى آخر أيامه .. لكن (وارد) الأب صدقها تماماً .. ألم يعانين ما حل بابنه ؟ ألم ير بنفسه البئر كريهة الرائحة ؟ ألم يعد لداره فاقد الرشد ، ويحاول الاتصال بالطبيب طيلة الليل ؟ ألم يقرر هو نفسه أن يدخل المزرعة ، حيث وجد الطبيب ممدداً في فراش بالطابق العلوى ، يتنفس بصعوبة ، وفتح عينيه فقط بينما (وارد) الأب يقتاده إلى السيارة ؟

كل ما قاله الطبيب للأب المندھش هو :

- « هاتان العينان ! تلك اللحية ! إليك عني ! »

وفيما بعد - فى أكثر الغرف إضاءة وشمسًا - جلسا ، وراح الطبيب يحكى للأب المذعور كل شيء حتى لحظة خروج البخار الأخضر من الزجاجة .. هنا تساعل الأب فى تردد :

- « هل نظن أن الحفر قد يفيدنا ؟ »

لكن الطبيب لم يملك إلا أن يهز كتفيه مؤثراً الصمت .. مد يده فى جيبيه بحثاً عن منديل ، فوجد

قصاصه من الورق لها رائحة كريهة ، واضح أنها قائمة من المكتبة الرهيبة تحت الأرض .. وكانت عليها رموز غريبة مع كلمات مختصرة بلغة قديمة مندثرة ، جعلت للرجلين يهرعان إلى مكتبة (جون هاى) الموجودة على المرتفع ..

وفى المكتبة استطاع الرجلان أن يجدا كتباً تتحدث عن اللغات القديمة ، وبالفعل عرفا أن هذه الحروف تمثل طريقة للكتابة الساكسونية من القرن السابع أو الثامن .. ذلك الزمن الذى راح فيه قمر بريطانيا الشاحب يشع على أطلال (كيرليون) و (هكسام) الروماتية ، وعلى أبراج سور (هانريان) .. وكانت تقول بلاتينية بربرية ما معناه :

- « (كوروين) يجب أن يقتل .. يجب أن يذاب جسده فى الحمض .. والنزم الصمت قدر الإمكان .. »

ظل الرجلان صامتين يفكران حتى أرغمتهما ساعات العمل بالمكتبة على الانصراف .. من الواضح تماماً أن (كوروين) الذى يجب أن يدمر هو نفسه د. (ألين) .. الرجل ذو العينات واللحية ؛

لأن هذه هي تقريباً نفس كلمات (تشارلز) المخبولة
في خطابه القديم .. والآن هذا الخطاب من مصدر
مجهول يقول الشيء ذاته باللاتينية .. لو لم يدمر
(ألين) فمن الواجب وضعه حيث لا يؤذى (وارد)
الشاب .. سواء كان (ألين) هو نفسه أم هو تناسخ
(كوروين) لو كان شيء كهذا ممكناً ..

4
وفى دار (وارد) جلس د. (ويليت) مع الأب
ينتظران عودة المخبرين الثلاثة الذين كلفاهم
بالبحث عن (ألين) .. كانا يجلسان فى الطابق
السفلى ؛ لأن الطابق العلوى قد امتلأ بجو عام من
الغثيان .. غثيان لم يفهم أحد سببه ، وقال الخدم إنه
لعنة غامضة جاءت من تلك الصورة الرهيبة
المتحللة .. جاء المخبرون وقللوا إنه ما من أثر
للمدعو (ألين) ولا للبرتغالى ، لكنهم وجدوا فى
المزرعة بقايا لحية مصبوغة وعيونات ، مما يدل
على أن لحيته تلك كانت مزيفة .. وفى القرية كان
الفلاحون يربطون بينه وبين حوادث مص الدماء
فى الصيف الماضى ، أكثر مما يربطون بينها وبين
(وارد) .. ثم هناك موضوع الندبة على عينه
اليمنى وصوته العميق الغريب .. وخطه غير
المألوف فى هذا العصر ..

هنا ارتجف الرجلان معاً للفكرة الرهيبة التي
خطرت لهما في الوقت ذاته .. من رأى (تشارلز)
و (ألين) معاً من قبل في الوقت ذاته؟ (كوروين) -
(ألين) - (وارد) .. كيف تم هذا الاندماج للشيطاني
لرجلين من عصرين مختلفين؟ قام الأب بعمل كان
يخشاه، هو أن أخذ صورة لابنه ورسم لها لحية
وعيونات غليظة، ثم طلب من المخبرين أن
يعرضوها على القوم جوار مزرعة (بوتكست)
ويسمعوا ما يقولون .. وعاد المخبرون يقولون إن
الشبه شديد فعلاً .. ما معنى هذا؟ لماذا طلب
(وارد) في خطابه أن يقتل د. (ألين) ويذاب في
الحمض إذن، إذا كان هو الشخص ذاته؟ قال
الطبيب إنه راغب في الانفراد بنفسه في غرفة
مكتب الفتى، فسمح له الأب ..

مر الوقت ثم فاحت رائحة دخان قادمة من
أعلى، كان الرجل كان يحرق بعض الأوراق ..
بعدها هبط إلى الأب وطلب منه ألا يوجه إليه أية
أسئلة .. وغادر الدار ..

ولمدة خمسة أيام ظل د. (ويليت) في داره
يستشفى من آثار الصدمة، ثم إن الخطاب التالي
وصل إلى الأب (وارد):

10 شارع بارنز

بروفينس

عزيزى تيودور:

أشعر أن على أن أقول لك شيئاً قبل أن أقوم بما
أقوى القيام به غداً .. أنت تعرفنى منذ كنت طفلاً،
ولن تفقد ثقتك بى إذا ما قلت لك إن هناك أموراً
يجب ألا تثار .. من الخير ألا تحقق أكثر في قضية
(تشارلز) .. حين أطلبك غداً سيكون (تشارلز) قد
فر من المصحة .. هذا كل ما يجب أن يبقى في
ذاكرة المرء .. إنه مجنون وقد هرب .. يمكنك أن
تخبر أمه بهذا فقط، ثم خذها إلى (اتلانتا)
للاستجمام .. والله يعلم أنك بحاجة إلى الراحة أنت
الآخر .. سأرحل أنا إلى الجنوب، فلأتسألنى أية
أسئلة حين أتصل بك ..

إن ابنك في أمان .. بل هو الآن أكثر أمناً مما
تظن .. لكنك لن تراه ثانية .. أقول لك بصراحة إنه

قال الفتى فى تحدّ :

- « وما المشكلة فى أن يرغب رجل فى اكتساب شخصيتين ؟ »

- « من حقه هذا .. فقط لو كان له حق الوجود أصلاً .. »

ثم أضاف فى تصميم :

- « لقد وجدت بعض الأوراق خلف صورة قديمة فوق مدفأة .. وقد أحرقتها ودفنت الرماد حيث يجب أن يكون قبر (تشارلز دكستر وارد) »

هب الفتى ثائراً وصاح :

- « سحقاً لك ! من يعرف هذا معك ؟ »

رفع الطبيب يده فى صرامة نافذة وقال :

- « لا أحد .. إن الموضوع يتعلّق بجنون وفرع لا يقدر بوليس ولا محاكم ولا محامون على التعامل معه .. إن لدى خيالاً، وأنت لن تخذعنى يا (جوزيف كوروين) .. أعرف كيف خدعت سليل أسرتك

مصائب بمرض خاص .. مرض أثر فى جسده كما أثر فى عقله .. لقد ارتاد أماكن ما كان لفان أن يرتادها، وهذه الأماكن التهمت عقله ..

« بعد عام يمكنك أن تعلن وفاة (تشارلز) رسمياً وتضع شاهداً على مقبرة أسرتكم باسمه، بالذات فى الناحية الشمالية حيث قبر أبيك .. هذا القبر سيكون قبر (وارد) الحقيقى .. الذى لم يتلوث والذى مازال يحمل الوحمة على ردفه، والذى لا توجد آثار شيطانية على صدره .. »

« من جديد أكرر أن عليك ألا توجه أسئلة، واعلم أن شرف أسرتك بخير كما كان دائماً .. »

المخلص : مارينوس ويليت «

وهكذا صباح الجمعة 13 إبريل 1928، زار (ويليت) الفتى فى المصححة العقلية، ورأى الفتى فى عيني الطبيب نظرة مخيفة لم يعهدها من قبل .. نظرة فيها لون من الانتقام .. قال للفتى :

- « لقد بحث الرجال عن د. (ألين) فلم يجدوا إلا الحية مستعارة وعوينات .. وهى تتاسبك جداً .. »

الشباب ، وجعلته يعيدك إلى الحياة ، وكيف قضيت
الوقت في معمله تدرس عالما المعاصر ، وفي الليل
كنت تخرج لتفتتات بالدماغ .. وكيف وضعت لحيه
وعيونك كي لا يتعرف أحد ملامحك .. ثم قتلته
وواريت جثته ، ورحلت تمارس حياتك على أنه هو ،
وكان المخبرون يرونك خارجا أو داخلا فيحسبونك
هو .. لكنك قد هلكت من قبل يا (كوروين) ولسوف
تهلك ثانية ..»

هنا صدرت صرخة متشنجة من المخلوق ..
وسرعان ما قرر (كوروين) أن يزيح القناع عن
حقيقته ، وبدأ يتكلم بصوته العادي المخيف الذي
كان يصطنع للبهجة ليداريه .. وراح يحرك أنامله
وهو يلفظ تعويذة مفرجة :

- « سير ادونى الويم .. ادونى جوهوفا .. ادونى
سابوت .. ميراتون .. »

هنا فقط بدأ الطبيب يلفظ العبارات التي حفظها
عن ظهر قلب .. عينا في عين وسحرا لسحر ..

العبارات التي تشكل ذيل التتتين .. إن رأس التتتين
استحضر (كوروين) .. فهل يقدر الذيل على إبعاده ؟

ياى نجاه ، يوج سوثوث

هى لجب

فاى نرودوج ، بوااه ، جب ليب

٩١١

كان التحويل مريعا .. هو مزيج من المسخ
والذوبان ، بدأ بمجرد أن نطق الطبيب اسم
(سوثوث) المخيف .. وأغمض الرجل عينيه حتى
لا يفقد رشده قبل أن يستكمل العبارات كلها ..

وحين فتح الطبيب عينيه ، وجد أن ما حفظه لم
يكن عديم الجدوى .. لم تكن ثمة حاجة للأحماض ،
لأنه كما حدث للصورة الملعونة منذ عام ، رقد
(جوزيف كوروين) الآن على الأرض ، وقد تحول
إلى طبقة رقيقة من غبار رمادى ..

لقد أغلقت قضية (تشارلز دكستر وارد) .

مارس 1926

هـ. ب. لاغرافت